



سلطنة عمان

كلية العلوم الشرعية

قسم أصول الدين

جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك

بحث تخرج مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس

في الشريعة/ تخصص أصول الدين

إعداد الطالبة:

آلاء بنت خليفة بن سعيد الحضرمية.

الرقم الجامعي:

2022037

إشراف:

أ. مارية بنت عبدالله بن حمدان الدهمانيّة.

العام الجامعي:

1445هـ - 2024م



سلطنة عمان

كلية العلوم الشرعية

قسم أصول الدين

جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك

بحث تخرج مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس في الشريعة/ تخصص أصول الدين

إعداد الطالبة:

آلاء بنت خليفة بن سعيد الحضرمية.

الرقم الجامعي:

2022037

العام الجامعي:

1445هـ – 2024م

Sultanate of Oman
College of Sbari`a Sciences
Admissions & Registration Center



سلطنة عمان
كلية العلوم الشرعية
مركز القبول والتسجيل

جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك

اسم الطالب : آلاء بنت خليفة بن سعيد الحضرمية. الفصل : الثامن

التخصص : أصول الدين الرقم الجامعي : 2022037

اسم المشرف : أ. مارية بنت عبدالله الدهمانية. التوقيع :

اسم المناقش : أ. سعيد بن سليمان الوائلي التوقيع :

تاريخ المناقشة : 4 / 11 / 1445 هـ الموافق 12 / مايو / 2024 م

• التقدير :

القبول والتسجيل

التعهد

أتعهد أنا الطالبة: آلاء بنت خليفة بن سعيد الحضرمية. الرقم الجامعي: 2022037

بأن بحثي المقدم إلى المناقشة جهد فردي، ولم أنتحل فيه شيئاً من بحوث الآخرين وكل ما استقدته ودونته كان وفق آداب البحث وقوانينه من الاجتهاد والنزاهة والأمانة العلمية، وسائر الضوابط المنصوص عليها.

وأتحمل المسؤولية التامة في حالة ثبوت خلاف ذلك.

والله على ما أقول شهيد.

التوقيع:

التاريخ:

إهداء

إلى جنتي الغالية وأبي العزيز اللذان بذلا جهدهما من أجل تربيتي...

إلى سندي الوحيد أخي الحبيب...

إلى أخواتي العزيزات...

إلى أقاربي الأعزاء...

إلى كل من وقف بجاني وساعدني على إكمال هذا البحث...

إلى كل من اطلع على بحثي المتواضع...

الشكر والتقدير

أتقدم بالحمد والشكر لله تعالى على ما أنعم ووفق لإتمام هذا البحث...

كذلك أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الفاضلة مارية الدهمانيّة مشرفة بحثي والتي كانت معي طوال فترة البحث ومدتني بالكثير من الملاحظات والمعلومات...

كذلك أتقدم بالشكر إلى مكتبة العلوم الشرعية التي فتحت أبوابها للباحثين...

ثم أتقدم بالشكر إلى كل عائلتي وصديقاتي وكل من وقف معي بالمساعدة والمشورة والتوجيه...

ملخص البحث

هذا البحث بعنوان: جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك، قامت به الباحثة: آلاء بنت خليفة الحضرمية.

بينت فيه الباحثة تعريف المذهب الإباضي لغة واصطلاحاً وتاريخ نشأة المذهب الإباضي ومؤسسه وأماكن انتشاره وأبرز أئمته. كذلك بينت الباحثة تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئه وأهميتهما وأبرز جهود المذهب الإباضي في تعزيزها وأهم أثارها.

وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج، منها:

(1) أن المذاهب هي الفروع الاجتهادية التي اتبع فيها كل فريق إمامه، وهي طريق الأمة في الشريعة والفقه والتفسير وما يؤول إلى ذلك، لا تفسيق ولا تضليل، ويسوغ الأخذ بأي منها والعمل للخاصة والعامة على التخيير بين المذاهب. فالمذاهب ليست محل عداوة وتحزب وخلاف بل محل تنوع وإثراء.

(2) توصلت الباحثة إلى أن المذهب الإباضي يشكل في سلطنة عمان حوالي سبعين بالمئة من السكان، ويرجع ذلك إلى فكر الإباضي الشائع والغالب بين الناس.

(3) السبب الرئيسي للتسامح المذهبي عند الإباضية هو انتشار المذهب في مختلف المناطق والبلدان، وكذلك عائد إلى ما يملكه المذهب من رصيد يواكب آمال الناس، واعتدال وتسامح الدعاة، والتزامهم بقواعد الإسلام، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة. جسّد المذهب الإباضي قيم التسامح والتعايش في مختلف مجالات الحياة، وجسدوه واقعا عمليا استفاد منه العام والخاص.

(4) من أهم وسائل التعايش عند المغاربة والمشاركة هي العدالة الاجتماعية في الحكم أئمة الدولة، وكذلك التواصل الحضاري مع المخالفين للمذهب، وعدم وجود اشتباك مسلح أو مشاحنات مذهبية مبنية على أسس مذهبية أو فكرية في عهد الأئمة والسلطين.

فهرس المحتويات

إهداء.....	أ
الشكر والتقدير	ب
ملخص البحث	ج
فهرس المحتويات	د
مقدمة:	1
هيكل البحث:	6
التمهيد:	7
المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته التاريخية ومؤسسه وأماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمته	9
المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته التاريخية ومؤسسه وأماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمته	10
المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي لغة واصطلاحاً:	10
المطلب الثاني: تاريخية النشأة للمذهب الإباضي ومؤسس المذهب:	14
المطلب الثالث: أماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمته:	19
المبحث الثاني: تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئ وأهميته وجهود الإباضية في تعزيزها وأهم آثار فكره	28
المبحث الثاني: تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئ وأهميته وجهود الإباضية في تعزيزها وأهم آثار فكره	29

المطلب الأول: تعريف التسامح والتعايش لغة واصطلاحاً وأهم مبادئ التسامح والتعايش وأهميتهما:	30
المطلب الثاني: أبرز الجهود الإباضية في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك	36
المطلب الثالث: آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الإباضي:	55
فهرس الآيات:	59
فهرس الأحاديث:	62
فهرس المصادر والمراجع:	63

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي شرع لنا الإسلام ديناً قيماً، وهدانا به صراطاً مستقيماً، فأحيانا به منهجاً للحياة سليماً، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله الهادي إلى طريق ربه المستقيم، وبعد:

فقد اقتضت إرادة الله تعالى وحكمته افتراق المسلمين إلى مذاهب و فرق شتى، ويخرج الإنسان المسلم إلى هذه الحياة فيجد نفسه موصفاً بوصف زائد عن أصل الإسلام -إباضي أو سني أو شيعي- وكلها لها تاريخها وأفكارها. ومن هذه المذاهب المذهب الإباضي الذي حافظ على منطلقاته وأصوله رغم التيارات التي مر بها. فالمذهب الإباضي يعد من أهم مذاهب الحق والاستقامة، ويعتبر من أقدم المذاهب الإسلامية من حيث نشأته. وفي هذا البحث سأحدث عن تعريف المذهب الإباضي من حيث نشأته ومبادئه وأبرز أئمنته؛ من أجل تعريف أتباع المذهب بحقيقة مذهبهم، ويعلمون جذوره التاريخية الأولى، والرجال الذين برزوا في تأصيل فكر المذهب، ونشره بين الناس، وما قدموه من جهود وأعمال جليلة، إلى أن وصل إلينا كما تلقاه رجالنا من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-؛ حتى يسيروا بسيرهم، سواء كانوا إباضية المشرق أم إباضية المغرب.

فإننا نرى التسامح والتعايش خلفية زكية في معظم الحياة سواء كانت في الحياة الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية، فمن خلال بحثي سأبين ما هي جهود الإباضية في تعزيز هذه القيمتين (التسامح والتعايش)، وتوضيحها لأعلام المذهب وغيرهم.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية البحث في عدم الفهم الحقيقي لأصول المذهب الإباضي وأفكاره، ونتج عن سوء الفهم هذا، وتعرض المذهب قديماً وحديثاً إلى الظلم من قبل إخواننا في المذاهب الإسلامية الأخرى، فنسبوا له أعمال العنف والغلظة ووصفوا أهله بأنهم أهل بدعة وتعصب، واستصغروا جهود علمائه في تعزيز قيم التسامح وبث روح العيش المشترك بين المسلمين جميعاً. يروم هذا البحث بيان حقيقة المذهب الإباضي، ويستعرض الجهود النبيلة والعظيمة التي قدمها علماء المذهب الإباضي في نشر قيم التسامح ونبذ التعصب والعيش المشترك.

أسئلة البحث:

1. ما المذهب الإباضي وما تاريخ نشوؤه ومن مؤسسة المذهب وما أماكن انتشاره؟
2. من هم أبرز أئمة المذهب الإباضي؟
3. ما تعريف التسامح والتعايش، وأهميتهما؟
4. ما هي جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والتعايش مع المسلمين وغيرهم؟
5. ما هي آثار التسامح والتعايش في المذهب الإباضي؟

أهداف البحث:

1. بيان المذهب الإباضي ونشأته ومؤسسه وأماكن انتشاره.
2. بيان أبرز أئمة المذهب الإباضي.
3. بيان معنى التسامح والتعايش، وأهميتهما وأهم مبادئها.
4. بيان جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والتعايش مع المسلمين وغيرهم.
5. بيان آثار التسامح والتعايش في المذهب الإباضي.

أهمية البحث:

1. ارتباطه بالمذهب الإباضي.
2. اتصاله بقيم التسامح.

3. بيان لدور القيم في التعايش.

4. تعريف الناس بجهود أئمة المذهب الإباضي في نشر قيم التسامح والعيش المشترك لكي يجسدوها في حياتهم

حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على دراسة المذهب الإباضي من حيث نشأته التاريخية. وبيان أهم جهود المذهب الإباضي لتعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك.

منهج البحث:

سلكت الباحثة في البحث عدة مناهج، وذلك للحاجة إليها؛ أبرزها:

المنهج الاستقرائي: فقد شرعت من أول الكتابة في البحث باستقراء كتب التاريخ والكتب الخاصة بالمذهب الإباضي، والندوات والمؤتمرات، والمجلات والبحوث، التي أشعر أنها تتحدث عن موضوع بحثي، وخاصة أن هذا الموضوع لا تجده في فهارس الكتب، فقط بين سطورها مغمورة بالكم الهائل من المعلومات. والمنهج الوصفي: ظهر هذا المنهج في المبحث الثاني أكثر من غيره، لأني أصف فيه جهود الإباضية في تعزيزهم لقيم التسامح والعيش المشترك. والمنهج التحليلي: بتحليل النصوص الخاطئة الناشئة عن المذهب الإباضية، وتحليل النصوص التي ذكرت جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك. والمنهج التاريخي:

من خلال السرد التاريخي للمذهب الإباضي منذ نشأته، وكيف انتشر، عبر الاستعانة بالعديد من الكتب التاريخية المختلفة.

الدراسات السابقة:

لا بد من التعريف بالدراسات السابقة حول موضوع جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك؛ اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وأهل السبق بسبقهم، والاستفادة والبناء على

ما وقفوا عليه، ومن الممكن أن نبين الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الدراسة في بعض جوانبه، وذلك على النحو الآتي:

- البحث المعنون بـ التسامح والمودة وكرم الضيافة التي لقيها الرحالة الاوربيون والامريكان الذين زاروا عمان في القرنين التاسع عشر والعشرون، للباحث د. سليمان بن سالم الحسيني¹، تحدث الباحث عن مفهوم الرحالة الأوربيين والأمريكان لكرم الضيافة والتسامح الذي لاحظوه لدى المجتمع العماني ووجهة نظرهم في دوافع المجتمع العماني من احترام الآخر وتقدير انتمائه الثقافي والديني، يتفق هذا البحث مع هذه الدراسة في جزء بسيط من البحث وهو تعريف عن المذهب الإباضي من حيث النشأة و مؤسس المذهب وغيره، ويختلفا في أمور متعددة منها: ذكر الباحث آراء الرحالة الأوربيين و الأمريكان عن أهل عمان، فالباحثة ستسلط الضوء على التعريف بالمذهب الإباضي، وبيان جهوده في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك.

- وببحث بعنوان: التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، للباحث عمر زعابه²، تحدث الباحث عن التعايش والتسامح في المدرسة الإباضية من خلال الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وأيضا تحدث عن آثار فكر التسامح في المدرسة الإباضية، ترى الباحثة هذا البحث قريبا جدا من موضوعها، ولكن يوجد اختلاف بين الدراسة، فالباحثة تحدث عن نشأة التاريخية للمذهب وبينت أهم علمائه بينما الباحث لم يتطرق الى ذلك وكذلك تطرقت إلى جهود إباضية المشرق وهو تطرق فقط لإباضية المغرب.

¹ الحسيني، دكتور سليمان بن سالم، التسامح والمودة وكرم الضيافة التي لقيها الرحالة الاوربيون والامريكان الذين زاروا عمان في القرنين التاسع عشر والعشرون، (ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر السادس للفكر الإباضي الذي عقد تحت عنوان الفكر الإصلاحى للمدارس الفكرية الإسلامية في العصر الحديث، 1-3 يونيو 2015م، بمعهد المخطوطات الشرقية بالأكاديمية العلمية الروسية بمدينة سانت بطرسبرج بجمهورية روسيا الاتحادية).

² زعابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، (مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد السادس عشر، العدد الأول، مارس 2020).

- والبحث المعنون بـ الفكر الدعوي عند الإباضية، للباحث عبد الله بن سليمان الريامي، تحدث الباحث عن نشأة الإباضية وأصولهم ودوافع تأسيس المذهب الإباضي و كيفية الدعوة عند الإباضية، ترى الباحثة هذا البحث قريباً جداً من موضوعها، ولكن يوجد اختلاف بين الدراسة، كاللنا تحدث عن نشأة المذهب الإباضي، ولكن الباحثة ذكرت جهود المذهب الإباضي في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك، بينما الباحث لم يذكر هذا وإنما اشتمل بحثه على طريقة الدعوة عند الإباضية.¹
- وبحث بعنوان بـ أسس التعايش والتسامح في الإسلام للباحث عبد الحليم، تحدث الباحث عن أسس التعايش والتسامح في الإسلام بينما الباحثة تحدث عن جهود الاباضية في تعزيز قيم التسامح العيش المشترك.²

¹ الريامي، عبد الله بن سليمان، الفكر الدعوي عند الإباضية، (رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، 1996م).

² بسم الله، عبد الحليم، بـ أسس التعايش والتسامح في الإسلام، (مقال، نوفمبر، ٢٠٢٢).

هيكل البحث:

التمهيد: مقدمة تمهيدية تشتمل على تاريخ نشأة المذاهب الإسلامية.

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته التاريخية والتأسيس وأماكن انتشاره وأبرز أئمته.

المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: نشأة التاريخية للمذهب الإباضي ومؤسس للمذهب الإباضي.

المطلب الثالث: أماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمة المذهب الإباضي.

المبحث الثاني: تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئه التسامح والتعايش وأهميتهما وبيان جهود الإباضية في تعزيزها وأهم آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الإباضي.

المطلب الأول: تعريف التسامح والتعايش لغة واصطلاحاً وأهم مبادئه التسامح والتعايش وأهميتهما.

المطلب الثاني: أبرز الجهود الإباضية في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك.

المطلب الثالث: آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الإباضي.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

المصادر والمراجع.

التمهيد:

لم تكن نشأة المذاهب الإسلامية كسائر المذاهب السياسية والفكرية والاجتماعية يسيرون على مبادئ يتفقون عليها، وإنما نشأتها كانت حسب الحوادث والوقائع الزمانية والمكانية.

وعندما اطربت الأمور في أواخر الخلافة الرشيدة، وعندما صدرت الدولة الأموية، وبرز الصراع على الحكم بروزا واضحا بين مختلف طوائف الناس، وظهرت الرغبات المادية الملحة طافحة على تصرف الأفراد والجماعات، انقسمت مواقف الناس إلى عدة تكتلات أو أصناف، وهي كما يلي:

التكتل الأول: يتمثل في موقف أتباع الذين لاحظوا أن الحكم حين وصل إلى الأيدي الأموية، بدأ يتجه إلى ملكية وراثية مستبدة مهيمنة...، ومن هذا التكتل تكونت مذاهب: الأشاعرة، والظاهرية، والحنابلة، والمعتزلة.

التكتل الثاني: يتمثل في موقف أتباع الذين كانوا يتأثروا بالأحداث منذ وفاة الرسول ﷺ، واختيار الناس أبا بكر دون علي للخلافة...، ومن هذا التكتل تكونت مذاهب: الشيعة بمختلف فرقها.

التكتل الثالث: يتمثل في موقف أتباع ذلك الصنف الذي رفض فكرة الواقعية التي تبناها الصنف الأول، ورفض فكرة الوصية التي تبناها الصنف الثاني، وجعل العنف وسيلة للوصول إلى الحكم...، ومن هذا الصنف تكونت الخوارج.

التكتل الرابع: يتمثل من خلال الصراع العنيف بين هؤلاء الأصناف الثلاثة في صدر الدولة الأموية نبت تكتل آخر، وهو وقف موقفا وسطا بين هذه الأصناف المتصارعة والتيارات المتعارضة، فلم يتخذ كامل موقف المرونة التي ترضى بالأمر الواقع وتستسلم له مهما كانت الظروف، ولم يتخذ كامل موقف الوصية الوراثية الذي يحصر الحكم في أسرة واحدة على مدى التاريخ...، ومن هذا الصنف تكونت الإباضية.¹

¹ انظر، صدقي، الشيخ محمد أيوب، وبحار، الدكتور إبراهيم بكير، من لا يعرف الإباضية للمعرفة والتعارف والاعتراف، ط1 (غرداية: دار نزهة الألباب، 1430هـ\2009م)، ص36-37

إن جميع المذاهب الإسلامية منبثقة من أصل واحد وهو الإسلام بمصادره التشريعية المختلفة، وكان المنطق يقتضي أن تكون هذه المذاهب واحدة أو متحدة، لأنه الدين هو الأصل، فإذا حدث خلاف بين بعضها بحث عن أسباب الخلاف، ولكن القضية عند بعض المفكرين وأغلب المستشرقين أخذت منحى آخر. ولعل المستشرقين هم الذين ركزوا هذه النظرة، واعتبروا الخلاف والخصومة بين المذاهب هما الأصل، فإذا وجدوا تشابها واتحادا بحثوا عن الأسباب أو افتعلوا له المبررات¹، وعلى كل حال فالأصل في المذاهب أنها تستقي من مصدر واحد وترجع إلى أصل واحد.

تري الباحثة: أن المذاهب الإسلامية لم تظهر من فراغ، فأن الأخذ بالمذاهب الإسلامية منفعة عظيمة للمسلمين، وتركها مفسدة كبيرة، فقد أنشأها الإسلام ليستفيد المسلمون من بعضهم البعض، كما كان يستفيد الصحابة من رسول الله ﷺ وكذلك التابعين يستفيدون من الصحابة رضوان الله عليهم وأتباع التابعين استفادوا من التابعين. كذلك المذاهب الإسلامية تستفيد من السلف كل مذهب في معرفة الشريعة. نجد العلماء اعتمدوا على الأخذ من قبلهم. فالمذاهب لا تفسق ولا تضليل، وإنما يسوغ الأخذ بأي منها والعمل للخاصة والعامة على التخيير بين المذاهب. فالمذاهب ليست محل عداوة وتحزب وخلاف بل هي محل تنوع وإثراء.

¹ المرجع نفسه، ص 37-38.

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته التاريخية ومؤسسه
وأماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمة

يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تاريخية النشأة للمذهب الإباضي ومؤسس المذهب.

المطلب الثالث: أماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمة.

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته التاريخية ومؤسسه

وأماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمته

إن الكتابة عن مذهب من المذاهب بشكل خاص هو أمر شريف وخطب جليل؛ لأن الدخول في هذا المجال يحتاج إلى قراءة متأنية، وعميقة، ودقيقة في تاريخ هذا المذهب العريق. كون هذا المذهب تعرض للظلم قديماً وحديثاً من قبل إخواننا المسلمين وغيرهم من خلال اعتبار الإباضية من الخوارج ونسبوا إليه كل من أعمال العنف وغلظة الطبع وشذوذ المعاملة ووصفهم للإباضية بأهل للبدعة والتعصب المذهبي. وذلك يرى الكثير من المسلمين -ممن لا يعرف الإباضية حق المعرفة- لديهم صورة مشوهة عن المذهب، تلقوها عن طريق السماع، أو من خلال قرءوها من مصادر حوت معلومات غير دقيقة عن الإباضية. وللأسف الشديد الكثير من الناس المنتسبون للمذهب الإباضي غير مثقفين وغير مدركين لإرث هذا المذهب العريق.

فمن خلال هذا المبحث بينت فيه: تعريف المذهب الإباضي ونشأته التاريخية ومؤسسه وأماكن انتشاره وأبرز أئمته بإذن -الله تعالى-.

المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي لغة واصطلاحاً:

التعريف اللغوي للمذهب:

المذهب مصدر ميمي على وزن "مَفْعَل" وهو الذهاب والسير والمرور، من ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَابًا وَذُهُوبًا، فهو ذَاهِبٌ وَذُهُوبٌ، وذهاب. والمَذْهَبُ مصدر كالذَّهَابِ.¹

والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه.²

¹ انظر: أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ومحمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط3 (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج1، ص393، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، ط5 (بيروت: الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص226.

² انظر: ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج1، ص393.

قال الزمخشري: "ومن المجاز والكناية: ذهب فلان مذهبا حسنا. وذهب عليّ كذا: نسبته، وذهب الرجل في القوم، والماء واللين: ضل. وفلان يذهب إلى قول أبي حنيفة، أي: يأخذ به"¹

فإذن يفيد المعنى اللغوي أن للمذهب معنيان هما:

الأول: الذهاب والسير والمرور.

والثاني: المعتقد الذي يذهب إليه. وهو المعنى المراد هنا

التعريف الاصطلاحي للمذهب:

غالبا ما تعتمد المعاني الاصطلاحية على المعاني اللغوية. فالمذهب هو الطريقة التي اختارها إمام من الأئمة في استنباط الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ومجموع من الاجتهادات والآراء الفقهية التي توصل إليها في أمر الناس وفق القواعد الأصولية والفقهية². وسوف أبين تعريف المذهب في الاصطلاح الإباضي.

تعريف المذهب في الاصطلاح الإباضي:

عرفه على جهة العموم أبو يعقوب الوارجلاني³ بقوله: "وأما المذهب فهو الطريق التي بانتهى بها الفرق في الفروع، وليس فيها تأثيم، وإنما ظهرت المذاهب في هذه الأمة، حين اقتسمت الأئمة الأمة، فبانتهى كل فرقة بمذهب إمامها، وإنما ظهرت الأئمة في آخر المائة الثانية من خلاف

¹الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ\1998م) ج1، ص210.

² الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص39-40.

³ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (نسبة إلى وارجلان بلدة في جنوب الجزائر) كان عالما بالتفسير والحديث والأصول والفقه وغيرها، رحل إلى الأندلس وتعلم بها وتلمذ على علمائها، ويعد أول من أشار إلى خط الاستواء، له من الكتب العدل والإنصاف والدليل والبرهان) وقد قام بترتيب مسند الإمام الربيع بن حبيب، وهو من أفضل الأعمال التي قام بها، حيث تركت بصماتها على المذهب الإباضي لاحقا، توفي سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م. ينظر: الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ، د.ط(د.ن، د.م، د.ت) ج2، ص419، الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيبي، ط2(د.ن، د.م، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج1، ص105.

العباسيين"¹، وواضح من خلال التعريف الاصطلاحي للمذهب عند الإباضية: أن المذهب هو الفروع الاجتهادية التي اتبع فيها كل فريق إمامه. وقال أبو يعقوب الوارجلاني في موضع آخر: "وأما المذاهب: وهي الطريقة الأمة في الشريعة من الفقهيات ومذاهبهم في التفسير وما يؤول إلى ذلك، لا تفسيق ولا تضليل، وهو سائغ الأخذ به والعمل للخاصة والعامة التخيير بين المذهب".²

تعريف مصطلح الإباضية:

المذهب الإباضي هو أحد المذاهب الإسلامية الثمانية السائدة في عالمنا الإسلامي اليوم وهي: الإباضية، الحنفية، المالكية، الشافعية الحنابلة، الزيدية، الإمامية، الظاهرية.³

ومصطلح الإباضية:

هي إحدى أقدم الفرق الإسلامية التي تعود نشأتها إلى النصف الأول من القرن الهجري الأول، وقد أخذت اسمها من عبد الله بن إباح، أحد فقهاء الأولين.⁴

نسب المذهب الإباضي إلى الإمام عبدالله بن إباح التميمي⁵ من قبل الأمويين، لكونه هو الذي كان يخاطبهم ويراسلهم باسم الإباضية لعراقة قبيلته وقوتها في البصرة.⁶ ورغم أن جابر بن زيد هو

¹ الوارجلاني، يوسف بن إبراهيم، **الدليل والبرهان**، المحقق: الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط2 (وزارة التراث والثقافة، مسقط - سلطنة عمان، 1427 هـ/2006م). ج3، ص45-46.

² المرجع نفسه، ج2، ص7.

³ ، صدقي، الشيخ محمد أيوب، وبجاز، الدكتور إبراهيم بكير، **من لا يعرف الإباضية للمعرفة والتعارف والاعتراف**، ط1 (غرداية: دار نزهة الألباب، 1430هـ\2009م)، ص39.

⁴ انظر، النامي، د. عمرو خليفة، **دراسات عن الإباضية**، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م)، ص33.

⁵ هو عبد الله بن إباح بن تيم ابن ثعلبة، من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس، آل مقاعس التميمي (ت: ٨٦ هـ / ٧٠٥م)، فهو من قبيلة تميم التي كان لها دور هام في الأحداث السياسية في صدر الدولة الأموية. نشأ في مدينة البصرة، وعاصر فترة افتراق المسلمين بعد صفين، وكانت له مواقف حاسمة من تلك الأحداث، فقد شب في زمان معاوية، وأدرك عبد الملك بن مروان يعد من التابعين، أدرك كثيرا من الصحابة. ناصر، محمد صالح، **معجم أعلام الإباضية**، د.ط (دار الغرب الإسلامية، 2006م) ج 1، ص381.

⁶ الكندي، ماجد بن محمد بن سالم، **صفحات مشرقة من تاريخ المذهب الإباضي**، ط2 (دم 1433هـ\2012م)، ج1، ص62.

فقيه الإباضية الأول، إلا أن المذهب لم ينسب إليه، وإنما نسب إلى عبد الله بن إباح، وسبب شهرة عبد الله بن إباح أنه كان قائدًا سياسيًا، مجاهرًا بالحق أمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، يرفض الطغيان والاستبداد بالحكم فكان يدافع عن حق المسلمين في اختيار من يلي أمرهم، وينادي بالعدل والشورى وتحكيم الشرع؛ هذا الحق الذي ضيعه الأمويون عندما ابتدعوا مبدأ توريث الحكم، وحصلوه في أقاربهم من بني أمية، كما أنه جادل الخوارج، ورفض الخروج واستعراض الناس وقتل الأبرياء. ونظرًا لمواقفه الجدلية مع الخوارج، ولحركته النشطة في نقد سلوك الأمويين، بابتعادهم عن منهج الخلفاء الراشدين، ظهر بمظهر الزعيم ونسبت إليه الإباضية من قبل الأمويين، إلا أن الإباضية لم يعترفوا بهذه التسمية إلا في وقت متأخر بعدما انتشرت على ألسنة الجميع، فتقبلوها تسليمًا بالأمر الواقع عند الآخرين.¹

الإباضية هم المذهب الأول من هذه المذاهب ظهورًا، وأسبقها نشأة وأقدمها تاريخًا، وأقربها إلى عهد النبي محمد ﷺ²، والذي استمد تعاليمه من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وينبغي التنويه وهو أن كلمة الإباضية لم تكن متداولة في أوساط هذه الطائفة إلا في القرن الرابع الهجري، وكانوا من قبل لا يسمون أنفسهم باسم يميزهم عن غيرهم، وإنما يكتفون باسم المسلمين وأهل الدعوة آن ذاك³، اتباعًا لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، وقوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: 19)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33).⁴

¹ الشيباني، سليمان بن سعيد، السلال الذهبية في نسب الدين عن الإباضية، ط ١ (سلطنة عمان: مكتبة خزائن الآثار، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ج ١، ص ١٦-١٧.

² الأغبري، اسماعيل بن صالح، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ط ١ (د.ن، د.م، ١٤٣٤هـ\٢٠١٣م)، ص ٢٨.

³ انظر، عقيل، عبد الرحمن جعفر، صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، ط ١ (دار حضرموت للدراسات والنشر، ١٤٢٦هـ\٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٩.

⁴ المرجع نفسه، ص ٩

المطلب الثاني: تاريخية النشأة للمذهب الإباضي ومؤسس المذهب:

أولاً: النشأة التاريخية للمذهب:

لم يكن للإباضية الأوائل تأليف كتاب يبين أصل النشأة وظروف الظهور؛ لأنهم اتخذوا مواقف في بداية الأمر يتعلق بالجانب السياسي، ومواجهة الموجة التي أطاحت بنظام الخلافة الراشدة، وجعلت الملك عضواً، ورغم أن هذا المسلك قد يكون مقبولا في المدرسة الإباضية إذا ما استقامت الأمور وتحقق العدل والقسط، إلا أن مبدأ الشورى وانتخاب الإمام ومحاسبته على الاستقامة في الحكم يعد هو المطلب الرئيس عند هذه الطائفة.¹

ولما بدأت وتيرة الأحداث تتجه إلى التصعيد، وتعسف بنو أمية في ملاحقة المعارضين؛ اتخذ الإباضية مسلك المطالبة السلمية، والقعود عن المصادمة والتحدي، ورأوا أن حقن دماء المسلمين واستتباب الأمن في الدولة الإسلامية أولى من كل شيء؛ ولذلك سميت فرقتهم بـ (القعدة)، وهو لقب أطلقه عليهم نافع بن الأزرق² وأتباعه، تعريضا بهذا الفيلق المعارض، ومحاولة لاستشارة الهمم في المواجهة المسلحة مع بني أمية. لقد ظن نافع بن الأزرق وقادة الخوارج الآخرون أن الإباضية فرقة معارضة فحسب لا تنطلق من قواعد ولم تتأسس على مبدأ، ولذلك حاول هو وأصحابه دفعهم إلى مربع الصراع المسلح؛ فلم يفلح؛ لأن الإباضية طائفة مسلمة تقوم على أسس علمية، وقواعد منهجية، حيث فضلوا منذ البداية أن يطلقوا على أنفسهم مصطلح (المسلمون) أو (أهل الدعوة)، وأخيرا (أهل الحق والاستقامة)، وهذا اللقب الأخير - أي الإباضية - جاء بعد القرون الثلاثة الأولى، بعد أن تحددت معالم المذاهب الفقهية والسياسية، يقول الدكتور عمرو النامي

¹ الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص 57.

² نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس، لكنه انعزل بفكره السياسي، وأحب أن يبدأ المواجهة المسلحة مع الأمويين، وكان نافع يذهب إلى سوق الأهواز، ويعترض الناس بما يحير العقل (كما يقول الذهبي) ولما ولي عبيد الله بن زياد إمارة البصرة (سنة ٥٥ هـ) في عهد معاوية، اشتد على اتباع نافع وأوكل مهمة قتاله إلى المهلب بن أبي صفرة، وقتل بعد معارك ضارية في سنة ٦٥ هـ، الزركلي، خبر الدين بن محمود بن محمد بن علي الأعلام، ط 1 (دار العلم، 2002م)، ج 7، ص 351، وينظر تفاصيل محاورته مع ابن عباس رضي الله عنه في: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط 3 (مؤسسة الرسالة، 1985م)، ج 10، ص 486.

: "ولم يكن الإباضيون في البداية يستخدمون اسم الإباضية؛ بل استخدموا عبارات (المسلمين) و(أمة المسلمين) و(جماعة المسلمين) و(أهل الدعوة)، ولم يرد ذكر اسم (الإباضية) في الأعمال الإباضية الأولى مثل "مدونة أبي غانم" أو أي عمل آخر مبكر، إلا أنهم عادوا في وقت لاحق فاعترفوا بهذا الاسم وقبلوه، وقد ظهر لأول مرة في الأعمال الإباضية المغربية في رسالة عمرو بن فتح¹ (ت: 282هـ\893م)².

وعلى هذا فإن تأليف كتاب مخصص التاريخ النشأة مستبعد في تلك الفترة، ولربما تم ذلك، لكن الذي وصل إلينا مما يتعلق بهذا الجانب نزر يسير معظمه في كتب الموسوعات الفقهية، وبعض السير التي دونت على طريقة المراسلات القديمة³؛ وكلها مجمعة على أن البداية كانت على

¹ أبو حفص عمرو بن فتح، ولد في قرية قطرس في ليبيا، وتوفي سنة ٢٨٣ هـ، شهد معركة (مانو) بين النفوسيتين والأغلبة وأسر فيها، له مؤلفات عديدة منها (الدينونة الصافية) و(كتاب العمروس)، وهو الذي نقل مدونة أبي غانم عندما استودعه إياها وهو في طريقه إلى تيهرت. انظر: معجم أعلام الإباضية، (نشر جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ج10، ص67.

² انظر: النامي، دراسات عن الإباضية، ص46.

³ إضافة إلى هذا فإن التاريخ الإباضي تقل فيه العناية بحياة الرجال والجوانب التاريخية لأدوارهم، ولهذا الضمور أسباب كثيرة أهمها: "هو فقدان الكثير من الكتب التي دونها هؤلاء في أحقاب تاريخية مختلفة، ثم إهمالهم هذا الجانب لاحقا بعد اندثار الكثير من الدول التي أقاموها في الشرق والغرب وإلا فإن محاولة تدوين السيرة جاءت مبكرة في هذه المدرسة، فأقدم كتاب تاريخي وصل إلى المكتبة الإسلامية هو سيرة سالم بن ذكوان وقد دونها في نهاية القرن الأول الهجري، يحكي فيها الأحداث التي داهمت المسلمين في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ثم الأحداث التي تلاحقت من بعده إلى زمن المؤلف، ولعل أفضل ما يميز هذه السيرة هي أنها تجمع بين السرد التاريخي المجرد والنقد العلمي لتفاصيل تلك الأحداث ثم دون أبو سفيان محبوب بن الرحيل أحد علماء المدونة سيرته الشهيرة عن رجال المذهب وفي مقدمتهم أبو عبيدة وعلاقة البصرة بعمان والمغرب العربي، ومثله فعل أبو أيوب وأهل الحضرمي أحد علماء المدونة أيضا، وهذه السير توجد منها نقول كاملة في كتب الإباضية، وقد توالى السير الأخرى منذ تلك الفترة كما تذكر المؤلفات اللاحقة، وإن كان بعضها أو جلها بالأخرى محجوب عنا إلى اليوم. وفي القرن السادس الهجري لاحظ أبو يعقوب الوارجلاني أن تاريخ الإباضية يخلو من كتب تتحدث عن الرواة وضبطهم، وذلك عندما قام بجمع وترتيب الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب أحد علماء المدونة، فألف كتابا في أسماء الرواة ودرجاتهم من العدالة والضبط، وهذا الكتاب لا يزال أيضا مخطوطاً لم ير النور". انظر: الهادي، الإباضية والملكية في الغرب الإسلامي، ص59.

يد التابعي الشهير جابر بن زيد الأزدي العماني¹، نجد ذلك واضحاً في مسند الإمام الربيع بن حبيب الذي يروي أحاديثه عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد، ثم مدونة أبي غانم الخرساني التي ألقت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وهي تحكي أجواء التفاعل العلمي بين تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، واتصاله بجابر بن زيد وأبي نوع صالح الدهان وغيرهم من المؤسسين الأوائل، ثم ما ذكره أيضاً ابن سلام المؤرخ الإباضي المتوفى بعد (273هـ) في كتابه شرائع الدين، ورسالة سالم بن ذكوان²، وغيرها من الكتب القديمة والحديثة³.

ثانياً: مؤسس المذهب الإباضي:

مؤسس المذهب الإباضي⁴ هو التابعي الشهير جابر بن زيد العماني الأزدي.

1. اسمه ومولده:

هو: جابر بن زيد اليحمدي الأزدي تابعي مشهور، ولد في عمان في خلافة عمر بن الخطاب. وقد حدد المؤرخون مكان ولادته في نزوى إحدى الولايات العمانية، أما تحديد سنة ولادته فلم ترد في المصادر وإنما هو اجتهاد من قبل بعض الباحثين، من خلال استحضار الظروف الزمانية والمكانية التي ولد فيها، ولم يختلف المؤرخون أو المترجمون لجابر بن زيد أنه ولد في خلافة عمر بن الخطاب وكان ذلك تقريباً عام ٢٢ هـ في الجوف⁵، وهي موضع

¹ جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري الخوفي بقاء معجزة، والخوف ناحية من عُمان، كان عالم أهل البصرة في زمانه، يعد مع الحسن وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، حدث عنه عمرو بن دينار، وأيوب السخيتاني، وقتادة وآخرون. ينظر: سير أعلام النبلاء، ج1، ص481-482.

² انظر: الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص60.

³ لاستفادة هذه الحقائق التاريخية والأدوار التأسيسية للمذهب الإباضي يمكن الرجوع إلى المصادر الآتية "دراسات عن الإباضية" الدكتور عمرو النامي - "إسلام بلا مذاهب" مصطفى الشكعة - "الإباضية بين الفرق الإسلامية" علي يحيى معمر - "الإباضية في موكب التاريخ" علي يحيى معمر - "أجوبة ابن خلفون" تحقيق الدكتور عمرو النامي - "طبقات المشائخ بالمغرب" أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني - "نشأة الحركة الإباضية" د. عوض خليفات - "الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبحرين" الدكتور رجب محمد عبد الحليم.

⁴ الكندي، صفحات مشرقة من تاريخ المذهب الإباضي، ج1، ص58.

⁵ الجوف هي إحدى بلدان ولاية نزوى. الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص78.

بعمان كما حدده **ياقوت الحموي**¹، إلا أن بعضهم ولقلة المصادر المتوفرة لديه عن جغرافية عُمان وأقاليمها أشكلت عليه التسمية فسمّاها "الخوف"، وسمّاها بعضهم "الخوف بالحاء"، بينما ذهب بعضهم إلى أنها درب الجوف بالبصرة²، وهو ما حكاه المزي³، قال ابن حبان: "أصله من الجوف ناحية بعمان، وكان ينزل البصرة في الأزد موضع يقال له: درب الجوف"⁴. ومهما يكن من الاختلاف في التسمية فإن أهل مكة أدرى بشعابها، فالذي عليه المؤرخون العمانيون أنها (الجوف) بلدة من أعمال نزوى وتسمى حالياً: (فرق)⁵.

2. نشأته:

الإمام جابر بن زيد نشأ في بلدة عمان وترعرع بين ربوعها وفي أحضان أسرته الكريمة، فلقد كان أبوه عالماً، روى عنه جابر حديثاً في كتاب "أحكام القرآن للجصاص"⁶: روى أبو معاوية عن ابن جريج عن جابر بن زيد أبي الشعثاء عن أبيه قال: سئل النبي ﷺ عن محرم أتي بلحم صيد يأكل منه فقال: احسبوا له. قال أبو معاوية: يعني إن كان صيد قبل أن يحرم فيأكل وإلا فلا". فقد نشأ جابر بن زيد نشأة علمية في بلدة عمان، وبعدها توجه به والده إلى البصرة، حيث يرحل

¹ الأديب الأوحد شهاب الدين الرومي مولى عسكر الحموي، السفار النحوي الأخباري المؤرخ. وله كتاب "الأدباء" في أربعة أسفار، وكتاب "الشعراء المتأخرين والقدماء"، وكتاب "معجم البلدان"، كان شاعراً متفنناً جيد الإنشاء، توفي في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وستمائة عن نيف وخمسين سنة، ووقف كتبه ببغداد على مشهد الزيدي. وتوالياً حكمة له بالبلاغة. والتبحر في العلم، استوفى ابن خلكان ترجمته وفضائله. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، د. ط (مؤسسة الرسالة، د. م، ٢٠٠١)، ج 22، ص 313.

² المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، ط 1 (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠ - ١٤١٣ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٢ م)، ج 4، ص 435.

³ الحافظ المزي (654-742 هـ/1256-1341 م) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي: محدث الديار الشامية في عصره، ولد بظاهر حلب، ونشأ بالمزة (من ضواحي دمشق) وتوفي في دمشق. مهر في اللغة، ثم في الحديث ومعرفة رجاله. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الأعلام، ط 1 (دار العلم، 2002 م)، ج 78، ص 236.

⁴ التميمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، الثقات، ط 1 (دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣)، ج 4، ص 101.

⁵ . الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص 78.

⁶ الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، د. ط (دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405 هـ)، ج 4، ص 148.

العمانيون إليها في تلك الفترة بأعداد كبيرة حتى عرف لهم حي خاص باسمهم. وكان جابر بن زيد يرصد الصحابة الكرام وهم يؤسسون مدارسهم في البصرة، وسرعان ما اندمج إليهم بعدما اشتد وأنس من نفسه قدرة في العلم، فلزم شيخه ابن عباس رضي الله عنهما وأخذ عنه العلم، ثم رحل إلى المدينة المنورة ليلتقي هناك بعدد كبير من الصحابة الكرام.¹

فقد قال الإمام جابر بن زيد عنهم: "أدركت سبعين بدرية فحويت ما عندهم إلا البحر، ومنهم ابن عباس، والسيدة عائشة، وأبو هريرة، وأنس بن مالك. وكان يذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وقد حج ما يقارب أربعين حجة؛ لمقابلة كبار الصحابة والتابعين للاستفادة من علومهم، وعلوم بالأساس على القرآن والسنة حتى صار عالماً في علوم الفقه والأصول ومن أهل الإفتاء، اشتهر بالزهد في الحياة والتجافي عن مظاهرها الكاذبة، وكذلك من سماته التواضع الشديد".²

3. زهده وعلمه:

كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، وقد حصل على شهادات تزكية عالية من شيوخه الصحابة رضي الله عنهما فقال فيه ابن عباس: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علماً من كتاب الله، وربما قال: عما في كتاب الله".³

وقد تواصلت شهادات الصحابة رضي الله عنهما في الثناء على جابر بن زيد بما يطول ذكرها هنا. وعندما توفي قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: "اليوم مات أعلم من في الأرض".⁴

لقد كان جابر بن زيد زاهدا ورعا، وكان كما وصفه أبو نعيم في الحلية: "مسلماً عند الدينار والدرهم".⁵

¹ الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص 79

² الزيني، محمد عبد الرحيم، دراسات موضوعية في المدرسة الإباضية، ط 1 (مكتبة مسقط، 1445هـ\2024م)، ص 18-19.

³ المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 4، ص 436.

⁴ المرجع السابق، ج 4، ص 436.

⁵ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د. ط (مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ\١٩٧٤ م)، ج 3، ص 89.

4. تلاميذه:

للإمام جابر تلاميذ، "يعمل بعضهم في النظام السري الذي أنشأه، وهدفه نشر الخير وتوطيد الحق عن طريق الجمع بين العلم والسياسة. وتلاميذ آخرون لا يشغلون هذا الجانب، وإنما هم طلبة علم سخرُوا أوقاتهم لطلبه، فكان لهم في الإمام جابر مندوحة عن غيره، فأما تلاميذه من المدرسة الخارجية فهم عمر بن صرح، وعمر بن دينار، وقتادة وغيرهم ممن ذكرهم المزي في التهذيب، وأما تلاميذه من المدرسة الداخلية فهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمَام بن السائب، وأبو نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج، وجعفر السماك، وعبد الله بن زيد الجرمي، وعاتكة بنت أبي صفرة وغيرهم كثير. ويتضح من خلال تراجمهم في كتب أهل الحديث أن لقائهم يجابر كان كثيفا، وكانوا حسب التراجم يروون عنه، بيد أن المؤرخين لا يعلمون شيئا عن هذه المدرسة، وسرية إنشائها بالنسبة لجابر، أما تلاميذه السريون فإن أهل الحديث كثيرا ما ينعتونهم بهذه العبارة: "كان يرى رأي الخوارج".¹

5. وفاته:

في عام ٩٣ هـ كان العالم على موعد مع رحيل عالم من علماء المسلمين ممن نذروا أنفسهم لطلب العلم وتعليمه، توفي جابر بن زيد في هذا العام على الأرجح وإن كان بعضهم يعتبر وفاته ١٠١ هـ لكن الأرجح هو ٩٣ هـ؛ لأنه توفي قبل الحجاج بن يوسف الثقفي عام 95 هـ، وعند موت جابر بن زيد قال تلميذه قتادة: "اليوم مات عالم البصرة، أو قال: عالم العراق".²

المطلب الثالث: أماكن انتشار المذهب الإباضي وأبرز أئمة:

أولا: أماكن انتشاره:

يجدر بنا بداية أن نذكر بأن مسمى الإباضية، لم يكن مرحبا به عند الإباضية بداية الأمر، أو بالتعبير العصري لم يكن معترفا به في المخاطبات الرسمية أو العلمية حتى القرن الثالث الهجري

¹ الهادي، الإباضية والملكية في الغرب الإسلامي، ص 82.

² التميمي، الثقافات، ج 1، ص 101.

حيث ورد لأول مرة في كتاب "الدينونة الصافية" لعمروس بن فتح، وأما قبل ذلك فكان مصطلح (جماعة المسلمين)، و(أهل الدعوة) هي لغة التخاطب بين هؤلاء القوم¹.

بدأ التأسيس في البصرة على يد جابر بن زيد، وتوسعت دائرته هناك، ثم انتقل إلى الكوفة حيث التقى الإباضية بالأحناف في مدارسها وجرت بينهم مناظرات عديدة، لم يحتفظ لنا التاريخ إلا بالإشارة إليها، وظل المذهب في البصرة فترة طويلة من الزمن ليس لدينا معلومات موثقة عن تاريخ اختفائه منها وغالب الظن أنه امتد إلى نهاية النصف الأول من الدولة العباسية. وأمتد تأثير المذهب إلى الحجاز، حيث وجد له أتباع على مستوى العلماء؛ كأبي الحر علي بن الحصين العنبري، في عدة مشايخ آخرين، يذكر ابن سلام الإباضي² أن الإباضية يلتقون بأقرانهم من أهل الحجاز وعمان والمغرب والبصرة في موسم الحج في مكان خاص بمنى يسمى مضارب محبوب، وقد عد فيها من العلماء مائة وخمسين عالماً منهم خمسة وعشرون من أهل عمان³. ولم يستمر الوجود الإباضي طويلاً في الحجاز؛ لأن الحملة السياسية كانت شديدة عليهم إضافة إلى قوة تأثير الإعلام الأموي على الفرق المناوئة سياسياً⁴.

ومن الحجاز إلى اليمن حيث انتشر المذهب الإباضي في أهل حضرموت حتى صاروا غالبيتها، ومنها انطلقت ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي (١٢٩هـ)، لكن ثورته انتهت بمقتله عام ١٣٠هـ، وفي نهاية القرن الثاني الهجري ظهرت من جديد الإمامة الإباضية في حضرموت، حيث برز الإمام الوارث بن كعب الخروصي. وفي بداية القرن الثالث استطاع ابن زياد عامل المأمون على اليمن أن يضم حضرموت إلى سلطته، إلا أن تلك السلطة كانت اسمية وشكلية نظراً لسيطرة حكم العشائر فيها، وفي عهد الإمام العُماني المهنا بن جيفر ٢٢٦هـ دخلت

¹ الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص 83.

² ابن سلام بن عمر التوزري الإباضي. عاصر نفات بن نصر النفوسي الذي كان صاحب اجتهاد، وحاول الانشقاق على أئمة الدولة الرسمية، كما عاصر أبا صالح النفوسي. سكن توزر. له تاريخ. وهو أقدم وثيقة إباضية لتاريخ المغرب الإسلامي، وقد اعتمده الشماخي في كتاب «السير» وضعه بعد سنة 260 هـ، وتحدث فيه عن أحداث تلك السنة والمصادر ضئيلة في الحديث عنه. وهذا التأليف مفقود. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م)، ج1، ص 257.

³ ابن سلام، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ط1 (بيروت: إقرأ، 1405هـ\1985م)، ص 130.

⁴ مرجع نفسه، ص 83.

حضر موت في إطار الإمامة العمانية مرة أخرى بعد أن سبقتها إلى ذلك الشحر والمهرة بنحو عشرين عاما، وظلت حضر موت إباضية خالصة طيلة القرن الرابع، وفيها أئمة منها يحكمونها، يقول أبو محمد الهمداني (ت: ٣٣٤ أو 344هـ) في كتابه صفة جزيرة العرب: إن إمام الإباضية هو الذي يأمر وينهي في حضر موت ومدينة دوعن. ويقول المقدسي (ت: ٣٧٥هـ) كما أورده الحداد في الشامل في تاريخ حضر موت: "والحضرمة لهم في الخير رغبة، إلا أنهم شرارة. واستمر الوجود الإباضي في حضر موت ومناطق من اليمن إلى القرن الحادي عشر الهجري، ثم تلاشي بفعل التأثير القوي للمذهب الشافعي في حضر موت"¹.

أما في الغرب الإسلامي، فقد وصلت الدعوة الإباضية إليه على يد سلمة بن سعد بداية القرن الثاني الهجري، وكانت مترافقة مع دعوة الصفرية على يد عكرمة مولى ابن عباس، واستطاع سلمة بن سعد أن يهيا خمسة من التلاميذ فأرسلهم إلى أبي عبيدة في البصرة، ثم رجعوا إلى بلدانهم يواصلون نشر المذهب والإفتاء فيه حتى تأسست أول إمامة إباضية على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، حيث تولى إزالة الوجود الصفرية من القيروان، إلا أن الحملة العباسية استطاعت القضاء على هذه الإمامة ومحاصرتها في أرجاء المغرب حتى تمكن الإباضية من تأسيس دولة أخرى على يد عبد الرحمن بن رستم عام (١٦١هـ). عرفت فيما بعد بالدولة الرستمية، حيث توسعت لتشمل أجزاء من ليبيا حاليا والجزائر وتونس، لكنها انتهت على يد الخليفة الفاطمي أبو عبد الله الشيعي في شوال (٢٩٦ هـ)، فانحصر الوجود الإباضي إلى اليوم في جبل نفوسة بليبيا². وجزيرة جربة في تونس، ووارجلان ووادي ميزاب بالجزائر³. أما في الأندلس فقد وفرت العلاقة الحميمة بين أمرائها وبين الدولة الرستمية مجالا للانتشار الإباضي بالأندلس، وخاصة الفرقة النكارية منهم، وقد سجل كل من الإمام عبد البر وابن حزم لقاءات متكررة مع الإباضية هناك،

¹ انظر: مفلح، سالم فرج، تاريخ حضر موت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة بين الإباضية والمعتزلة،

ط1 (المكلا: دار حضر موت للدراسات والنشر، 2006م)، ص 55

² مزهودي، د. مسعود، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (٢١ - ٤٤٢ هـ)

(٦٤٢ - ١٠٥٣م)، ط1 (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2003م)، ص 56.

³ انظر: الجري، محمد أبو راس، كتاب مؤنس الأحبة في أخبار جربة، ط1 (تونس: المطبعة الرسمية، 1960م)، ص 31-

بل إن الإباضية استطاعوا أن يؤسوا دولتين بالأندلس وهما بنو برزال¹، وبنو دمر²، وانتهى الوجود الإباضي بالأندلس بانتهاء الوجود لإسلامي بها.

وانتشر المذهب الإباضي أيضا في خراسان، وتكونت لديهم هناك مدارس فقهية مشهورة يشار إليها في الكتب الإباضية بعمل أهل خراسان من بين علمائها هلال بن عطية الخراساني، وأبو عيسى الخراساني، وأبو منصور حاتم بن أبي منصور، وأبو غانم بشر بن غانم الخراساني، صاحب أول مدونة في الفقه الإباضي "مدونة أبي غانم الخراساني"، وظل الوجود الإباضي في خراسان وبحر قزوين مستمرا إلى أن تم إنهاء وجودهم على يد إسماعيل الصفوي في القرن العاشر الهجري.³

¹ " بنو برزال ينتمون إلى قبيلة بني يفرن الذين هم بطن من بطون زناته وكانوا يقطنون بالمغرب الأوسط بأرض الزاب الأسفل والمسيلة، وقد أنشأ هذه الدولة الإباضية بالأندلس رجل يدعى أبو عبد الله البرزالي في سنة ٤٠٠ هـ وقيل ٤٠٤ هـ في ولاية جيان بالجنوب الشرقي من الأندلس، وبالتحديد في "قرمونة" الواقعة في منحى الوادي الكبير بين إمارة قرطبة ومملكة إشبيلية، وسار في حكمه سيرة حسنة، وعامل الرعية بالرفق والعدل، وقد استمرت هذه الدولة الإباضية لمدة ٥٤ عاما إلى أن سقطت في سنة ٤٥٩ هـ بسبب مهاجمة المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية لها وسيطرته عليها". بكوش، يحيى محمد، **الوجود الإباضي بالأندلس**، ط2 (سلطنة عمان، السيب: مكتبة الضامري، 1411هـ\1990م)، ص24-27.

² "أقيمت هذه الإمارة في مدينة "مورور" أو "مورون" بالقسم الجنوبي من الأندلس في القرن الرابع الهجري، وكانت تشغل رقعة صغيرة تمتد حول هذه المدينة جنوبا حتى وادي لكه؛ وأقام هذه الإمارة رجل يدعى نوح بن أبي تزييري الدميري زعيم بني دمر، وكان ينو دمر من بربر تونس ومن بطون زناته، وهم من الإباضية، وقد جدهم أبو تزييري إلى الأندلس أيام المنصور وخدم في الجيش كسائر زملائه من زعماء البربر، وانحاز منذ أيام الفتنة إلى تلك المنطقة واستقر بها وبسط عليها سلطانه، وقد استمرت هذه الإمارة لأكثر من ٦٠ عاما حتى سقطت في يد المعتضد بن عباد في سنة ٤٥٨ هـ، وكان آخر من حكمها مناد بن محمد بن نوح الملقب بعماد الدولة". بكوش، **الوجود الإباضي بالأندلس**، مرجع سابق، ص28-30.

³ الهادي، **الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي**، ص86.

وانتشر المذهب الإباضي ولا يزال في شرق أفريقيا وغربها ووسطها حيث لا يزال وجودهم كثيفاً في كل من زنجبار وتنزانيا، وكينيا، مقديشو، ومالي، والسنغال، وغانا، وبروندي، ورواندا، وقد تولى العمانيون وإباضية الجزائر وليبيا نشر المذهب الإباضي في هذه المنطقة.¹

وانتشر المذهب الإباضي في مصر بداية القرن الثاني الهجري على يد طلبة العلم الذين رحلوا إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة.²

واستمر معتمداً بها يشارك في المسارح السياسية والعلمية، وقد تولى قضاء مصر مجموعة من الإباضية، وفي زمن صلاح الدين خصصت لهم أروقة خاصة بالأزهر الشريف، واستمر المذهب الإباضي موجوداً في محافظة سيوه³، غرب الجمهورية المصرية.

أما في عمان فهو المذهب الرسمي بها إلى اليوم، ويمثل نسبة خمسة وسبعين في المائة من السكان، والسبب يعود إلى أن معظم زعامات المذهب أصلهم من عمان كجابر بن زيد، والرجل الثالث الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند وغيرهم كثير. ومن أسباب توسعه وبقائه في عمان هو أن حملة العلم لم ينقطعوا عن البصرة في القرنين الثاني والثالث حتى انتقلت الرئاسة الإباضية من البصرة إلى عمان، فانتقل إليها طلبة العلم من الغرب الإسلامي، وخراسان واليمن، وغيرها، ومن أسباب ذلك أيضاً انعقاد أول إمامة إباضية فيها عام ١٣٢ هـ للإمام الجلندي بن مسعود، بطريقة الشورى وتنظيم من العلماء في مجلس أهل الحل والعقد، وظل هذا التقليد في الإمامة مستمراً بها إلى بدايات النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حيث تحولت طريقة الحكم بعد ذلك إلى النظام الوراثي.⁴

ثانياً: أبرز أئمة المذهب الإباضي:

¹ انظر: حسين، د. أحمد إلباس، دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي، ط1 (صحار: مطبعة بسمة، بدون: ت)، ص13.

² من بينهم محمد بن عباد، وأبو إبراهيم موفق المصري، وغيرهم، انظر: تفاصيل سيرتهم وأثرهم العلمي في مصر، عبد الحليم، د. رجب محمد، كتاب الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ط1 (سلطنة عمان، السيب: مكتبة الضامري)، ص ٩٦ - ١٠٠.

³ المرجع السابق، ص101.

⁴ الهادي، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص91.

أئمة المذهب الذين أقصدهم هنا هم أئمة العلم لا أئمة الحكم، إلا إذا كان هناك من جمع بين صفتي العلم والحكم، فنذكره باعتبار صفته العلمية أو العالمية.

ومن المعلوم أن المذهب الإباضي يضم أئمة علم، على أن أقتصر على أولئك العلماء الذين كان لهم تأثير في تطوير المذهب من خلال مؤلفاتهم ومدارسهم وفتاواهم وقيادتهم الدينية وهم: الأئمة: عبدالله بن إباح، وجابر بن زيد، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة¹ وهم الذين انبنى عليهم المذهب من تنظيم دعوى إلى حركة فكرية وسياسية إلى مذهب فقهي.

وأهم أئمة المذهب:

(1) سالم بن ذكوان الهلالي العماني: وهو من منطقة توام (البريمي)، كان من تلاميذ جابر بن زيد. وهو أحد أعضاء الوفد الإباضي الذي ذهب إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ليقدموا له النصيحة، للتخلص من ظلم الأمويين للأئمة، وكذلك نحيه عن لعن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب على المنابر الذي سنه معاوية بن أبي سفيان.²

(2) جعفر بن السماك: هو من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام جابر بن زيد، وهو شيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وقيل: أن أبا عبيدة أكثر ما حمل من علم عن جعفر بن السماك. لا يدري عن نسبه المكانية والقبيلة، قيل: إنه سعدي. وهو أحد أعضاء الوفد إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقتل جعفر بن السماك في ثورة يزيد بن المهلب على الدولة الأموية سنة ١٠٢هـ³.

(3) الحنات بن كاتب الهميمي: من بني هميم، وهم من معين بن مالك بن فهم الأزدي. وهو من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام جابر بن زيد، وكان فقهياً كبيراً، وهو من منطقة توام (البريمي)، وكان في بعض الأحيان ينزل في منطقة سمد نزوى، وهو من أعضاء الوفد الإباضي إلى الخليفة

¹ هو التابعي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مولى لعروة بن أديّة، لم يعرف تاريخ ميلاده، أصله من فارس، ولقد كان آية في الذكاء، وأوتي القدرة والكفاءة. علي، عمرو أحمد، تقديم: قشار، أ. أحمد بن الحاج، الفروق العقدية بين المدرسة الإباضية والمدرسة الإعتزالية، د. ط (مطبعة بصمة- بني يزقن غرداية الجزائر، 2022م)، ص 43.

² السيابي، الشيخ أحمد بن سعود، المدخل إلى المذهب الإباضي، ط 1 (مكتبة الضامري للنشر والتوزيع- السيب، 1440هـ\2019م)، ص 220.

³ المرجع نفسه ص 221.

عمر بن عبد العزيز، وقتل الحتات الهيمي في ثورة آل المهلب بن أبي صفرة على الأمويين سنة ١٠٢ هـ¹.

(4) **ضمام بن السائب الندي:** وهو من النذب بن الشمس أخو الحدان بن شمس ومعولة بن شمس؛ أي أنه من الأزدي، ونسبه البعض إلى النداي. وضمام من عمان، ولد في البصرة، وكان النذب مسجد بالبصرة يسمى مسجد النذب، وكان ضمام يصلي فيه، وهو من كبار تلاميذ الإمام جابر بن زيد، وكان يطلق عليه رواية جابر، ودخل هو وأبو عبيدة مسلم السجن على عهد الحجاج بن يوسف فلم يخرج منه إلا بعد وفاة الحجاج².

(5) **صالح الدهان:** أبو نوح صالح بن نوح الدهان الطائي، لعله من أهل عمان ولكنه سكن البصرة. كان من تلاميذ الإمام جابر بن زيد ومن الطبقة الأولى. وهو أحد شيوخ الربيع بن حبيب الثلاثة: أبو عبيدة مسلم، وضمام، وأبو نوح³.

(6) **حيان الأعرج:** من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام جابر بن زيد، وهو من الفقهاء المحدثين، فقد روى عنه بعض أهل الحديث. وكانت فتاواه تتميز بالتيسير على الناس. وكان أكبر سنا من أبي عبيدة مسلم. وهناك حيان العامري، وحيان العبدي، وأبو حيان مسلم بن عبدالله الأعرج، وكلهم علما عن جابر بن زيد، فلا يدري هل هم شخص واحد أو مجموعة أشخاص⁴.

(7) **الربيع بن حبيب الفراهيدي:** هو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم. أصله من عمان، ولعله ولد في البصرة، حيث كان أبوه حبيب بن عمرو من تلاميذ الإمام جابر. تلقى العلم عن أبي عبيدة وأبي نوح الدهان وضمام بن السائب، وأصبح مرجع الفتيا لأهل المذهب الإباضي شرقا وغربا. من أهم آثاره: المسند المعروف بمسند الربيع. كما كان له حضورا فقهيا كبيرا في الفقه الإباضي، توفي في منطقة غضفان بولاية لوى من شمال الباطنة، وكانت وفاته بين سنتي ١٧٣-١٧٥ هـ، وكان قبره ومسجده بولاية لوى⁵.

¹ المرجع نفسه، ص 223.

² المرجع نفسه، ص 224.

³ المرجع نفسه، ص 225.

⁴ المرجع نفسه، ص 226.

⁵ المرجع نفسه، ص 235.

(8) **بشير بن المنذر:** هو أبو الحكم بشير بن المنذر النافعي السامي النزوي. أحد حملة العلم إلى عمان وأخذ العلم عن الإمام أبي عبيدة مسلم والإمام الربيع بن حبيب. وقد عرف بشير بالشيخ أو الشيخ الكبير، فحيثما ترد كلمة الشيخ فإنها تنصرف إليه. توفي سنة ١٧٨ هـ في بداية إمامة الوارث بن كعب رضي الله عنه¹.

(9) **هاشم بن غيلان:** هو هاشم بن غيلان الهميمي السيجاني، من تلاميذ العالمين الكبيرين شيخي المسلمين موسى بن أبي جابر الأزكوي وبشير بن المنذر النزواني. كان يكنى أبا الوليد، وكان يتنقل بين سيجا وإزكي سمائل العلاية، حيث سكن محلة القرواشية وبنى فيها مسجدا يحمل اسمه إلى الآن. وكان يحب عدم إثارة القضايا الخلافية حتى لا تقع الفرقة بين المسلمين. توفي في بلده سيجا، وبها قبره، وكانت وفاته أثناء إمامة عبد الملك بن حميد².

(10) **وائل بن أيوب الحضرمي:** هو أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي، نسبة إلى إقليم حضرموت باليمن، تلقى علمه عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. تولى رئاسة المذهب ومرجعته في البصرة بعد الربيع بن حبيب³.

(11) **الجلندي بن مسعود:** هو الإمام العادل الجلندي بن مسعود آل الجلندي، فهو إمام علم وإمام حكم، وهو أول إمام بعمان، واعتبروه مؤسس دولة الإمامة في عمان. تلقى العلم عن الإمام أبي عبيدة مسلم فهو من تلاميذه، وعندما بويع زميله عبد الله بن يحيى الكندي اماما باليمن سنة ١٢٩ هـ كان الجلندي من الحاضرين والمتابعين والمنصرين له. وبعد استشهاد الإمام عبد الله بن يحيى الكندي وأصحابه الكرام رضي الله عنهم في الحجاز واليمن سنة ١٣١ هـ بايع العثمانيون الجلندي بن مسعود بالإمامة سنة ١٣٢ هـ بعيد قيام الدولة العباسية⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 243-244.

² المرجع نفسه، ص 247.

³ المرجع نفسه، ص 236.

⁴ المرجع نفسه، ص 230.

أرى أن للمذهب الإباضي العديد من الائمة والعلماء الذين كان لهم دور كبير في خدمة هذا المذهب والمحافظة عليه من اعداء الدين الذين سعوا لتشويه المذهب الإباضي، وكذلك كان لائمة دور فعال في نشر المذهب الإباضي وقيمه النبيلة مثل التسامح والتعايش بين الناس. كذلك كانوا قدوة ودخرا لأبناء دينهم. كذلك كان لهم دورا في نشر تعاليم الدين الحنيف.

المبحث الثاني: تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئ وأهميته وجهود الإباضية في تعزيزها وأهم آثار فكره

يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التسامح والتعايش لغة واصطلاحاً وأهم مبادئه التسامح والتعايش وأهميتهما.

المطلب الثاني: أبرز الجهود الإباضية في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك.

المطلب الثالث: آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الإباضي.

المبحث الثاني: تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئ وأهميته وجهود

الإباضية في تعزيزها وأهم آثار فكره

التسامح والتعايش بين البشر موضع على الرقي في الدين والعقل والفطرة والأخلاق، والناس في موضوع التعايش طرفان ووسط، فطرف يريد أن يرضي غيره بما يخالف الشريعة الإسلامية، وطرف آخر لم يعرف روح الشريعة الإسلامية ومنهجها في التعايش، فيقع في الغلو والتشدد، والوسط هو أن التعايش مع الغير من روح الشريعة الإسلامية ومنهجها الذي أمر به الله عز وجل وأمر به رسوله ﷺ. والناس كلهم في هذه الدنيا يبحثون عن السعادة والراحة، ويريدون العيش الهنيء، وفي الشريعة الإسلامية من القواعد والمبادئ والأسس التي تحقق ما يسعد بنو آدم في الدنيا والآخرة، ويتمتعوا بحقوقهم الطبيعية والمدنية والسياسية على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم. وما فعله النبي ﷺ بعد وصوله المدينة المنورة من معاهدة اليهود كان أول تطبيق عملي للدولة الإسلامية في حسن التعايش مع الآخرين من غير المسلمين¹، ودلالة على أن الإسلام دين لا ينفي الآخر، وأنه يقرّر أن الاختلاف بين الناس في أشكالهم وألوانهم ومعتقداتهم هو سنة إلهية وحكمة ربانية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:118).

فمن خلال هذا المبحث سوف أتحدث عن تعريف التسامح والتعايش وأهم مبادئ التسامح والتعايش وجهود المذهب الإباضي في تعزيزها وأهم آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الإباضي بإذن -الله تعالى-.

¹ عبد الحميد، بسم الله، أسس التعايش والتسامح في الإسلام، د.ط(دار التأليف والترجمة، 2022م)، ص 16.

المطلب الأول: تعريف التسامح والتعايش لغة واصطلاحاً وأهم مبادئ التسامح والتعايش وأهميتهما:

أولاً: تعريف التسامح والتعايش لغة واصطلاحاً:

عند اطلاعي على تعريف التعايش والتسامح وجدت أنه إذا ما ذكر مصطلح التعايش يتبع في غالب الأحيان بمصطلح التسامح أو العكس، فهما إذا من المصطلحات المترادفة التي ترافق بعضهما، ومن المصطلحات القريبة جداً من بعضهما؛ ولو أن هناك اختلافاً طفيفاً بينهما في المعنى، ولكنهما في النهاية من المصطلحات ذات الدلالة الإيجابية التي تجتمع فيهما الحرية والمساواة والكرامة وقبول الآخر وهما عكس التعصب والتطرف والصراع والاضطهاد.

معنى التسامح في اللغة:

"جاء في مادة "سمح" السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة. يقال: سمح له بالشيء، ورجل سمح، أي: جواد، وقوم سمحاء ومساميح، ويقال: سمح في سيره، إذا أسرع. قال: سمح واجتنب فلاة قيا¹، ومن الباب: "المسامحة في الطعان والضرب، إذا كان على مساهلة. ويقال: رمح مسموح: قد ثقف حتى الآن، وسمح: السماح والسماحة: الجود، وسموحة وسماحا: جاد؛ ورجل سمح وامرأته. سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء. فيهما، حكى الأخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى. ورجل سميح. ومسمح ومسماح سمح، ورجل مساميح ونساء مساميح"².

كذلك "التسامح جاء من "السماحة": بمعنى تساهل: وسمح: من سمح: أي سار سيرا سهلاً، أو جعل الشيء لنا سهلاً؛ وسمح سماحة وسموحة: صار من أهل السماحة، فهو سمح وسميح

¹ الهروي، محمد بن أحمد الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م)، ج4، ص200.

² المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد الهنداوي، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م)، ج3، ص217-219.

والسماحة من الجود والكرم والسهولة؛ والسماحة مؤنث السّمح؛ يقال شريعة سّمحة: أي فيها يسر وسهولة".¹

التسامح في الاصطلاح:

إن العقيدة الإسلامية هي عقيدة سّمحة بالأساس.²

توصلت الباحثة أن مصطلح التسامح: يفيض بمعاني الرحمة والعفو وغيرها من القيم النبيلة، واطلعت على تعاريف اصطلاحية متعددة متنوعة للتسامح منها:

"التسامح في حقيقته ظاهرة حضارية وفضيلة أخلاقية، وهو جزء من العدل؛ فهو يتيح حق الاختلاف والخلاف، وفلسفة التسامح تقوم إلى أساس ألا يعترف الفرد فقط بما يقوله الآخر، إنما باحترام ما يقوله".³

وقال البعض: "التسامح أو العفو كلمة دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية أم الفردية، وتقضي بنبذ التطرف أم ملاحقة كل من يعتقد أم يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء". والتسامح هو نقيض التعصب والتشدد، كما إن مفهوم التسامح يتضمن القدرة على إيقاع العقوبة إلى جانب القرار الواعي بانتفاء استخدام تلك القدرة⁴، والتسامح يعني قابلية الفرد للتطبيق العملي لمعنى الالتزام واحترام معتقدات الآخرين وعاداتهم ومشاعرهم في معاملتهم بوصفهم بشرا بغض النظر عن لونهم وانتماءاتهم العرقية والمذهبية أو مرجعياتهم الاجتماعية.⁵

¹ أنيس، إبراهيم وآخرون نخبة من اللغويين بجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4 (مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ\2004م)، ص447.

² الذهلي، ربيع بن المر بن علي، التسامح الفكري في المؤسسات التعليمية، ط1 (مكتبة مسقط، 2024م)، ص45.

³ عروسي، سهيل، التسامح والتعصب، ط1 (المجلة الثقافية، دمشق، 2002م)، ص121-130.

⁴ الدليمي، عباس فاضل، جدلية النص والتعيين في بناء مفهوم التسامح كمنظومة قيمية عند الإمام علي في نهج البلاغة، ط1 (كلية التربية الإسلامية، جامعة ديالى العراق، 2004م)، ج1، ص23.

⁵ رجا، أبو علام، تنمية الوعي بمفهوم السلام والتسامح لدى الأطفال، د.ط (الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1995م)، ص142.

أيضا التسامح: يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي والديني والعرقي ورفض أشكال العنف كافة، والتشدد غير المسوغ ولا يعني التسامح في أي صورة من الصور أن يتقبل المتسامح الظلم أو يتنازل عن حقوقه ومعتقداته أو المجاملة بشأنها؛ لأن هذا لا يُسمى عندها تسامحا بل يعد جبنا وتخاذلا.¹

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم لم ترد فيه لفظة التسامح إلا أنه يفيض بألفاظ منها: الصفح، والعفو، والإحسان، ونبد التطرف، والعنف والتشدد والتعصب.²

في السنة النبوية الشريفة يوجد ورود لكلمة التسامح بالنص عليها ومن الأحاديث على ذلك:

- 1- قال رسول الله ﷺ: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة".³
- 2- قال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى".⁴

تعريف التعايش لغة:

جاء في المعجم الوسيط أن التعايش من العيش فعله عاش، فيقال عاش عيشاً وعيشة، ومعاشاً أي صار ذا حياة، فهو عايش: ويقال عايشه عاش معه وتعايشوا أي عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي.⁵

تعريف التعايش في الاصطلاح:

-
- ¹ الذهلي، ، التسامح الفكري في المؤسسات التعليمية، ص46
 - ² القضاة، محمد عدنان علي، مفهوم التسامح والعنف بالتربية الإسلامية، د.ط(أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموك الأردن، 2009م)، ص13.
 - ³ أخرجه البخاري في صحيحه، باب الدين يسر، رقم الحديث: 38، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط5(دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، 1993م)، ج1، ص23.
 - ⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث: 1970، البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط5(دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، 1993م)، ج2، ص730.
 - ⁵ نخبة من اللغويين مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4، ص639.

هو يحمل عدة مضامين اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية تهدف جميعها لإيجاد بيئة أخلاقية لإسعاد المجتمع الإنساني.¹

عرفه البعض بقوله: "تفاعل متبادل بين طرفين مختلفين في العادات أو المعتقد والدين، ويكون في المجتمعات المتنوعة الديانات والثقافات، والتي ينتمي أفرادها إلى أصول مختلفة في الثقافة والدين، فالتعايش يبدأ من الاعتراف بالآخرين والعمل على قبولهم كما هم".²

ثانيا: أهم مبادئ التسامح والتعايش:

يعتبر التعايش والتسامح دعامة من دعائم الإسلام، ومبدأ أصيلا من مبادئ خلق المسلمين، وهذه حقيقة ثابتة دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى التسامح وتحث عليه، وقد وضع الإسلام مجموعة من المبادئ والأسس أهمها:

1. المساواة بين البشر، وإقرار مبدأ التعايش والتساكن:

لقد دعا الإسلام منذ البداية إلى التجمع والتعايش والتساكن وتبادل المنافع والمصالح بين الشعوب، بعيدا عن أية عصبية جنسية أو عنصرية إقليمية أو نزعة ثقافية، إذ لا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود إلا بتقوى، فالله عز وجل لم يخلق أناسا من خشب، وآخرين من ذهب؛ بل كلهم من أب واحد وأم واحدة فلا مجال إذن للفخر والتفاضل، لذلك نجد الإسلام ألغى التمييز بين البشر³، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)، وجاء في حديث النبي ﷺ: "أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي

¹ الكعبي، علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، ط1 (دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، 2001م)، ص32-33.

² بسم الله، عبد الحليم، أسس التعايش والتسامح في الإسلام، د.ط (دار التأليف والترجمة، 2022م)، ص15.

³ مرجع نفسه، ص17.

على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى...¹.

2. حرمة دماء الناس وأموالهم وأعراضهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70)، فكل بني آدم مكرم، ولهم حق كامل في الحياة الآمنة والمطمئنة؛ لأن الله هو الذي خلقهم، ووهب لهم الحياة، ولا فرق في هذا الحق بين إنسان وآخر، ولا تمييز بين لون وجنس أو دين. والإسلام يدعو الناس جميعا لفعل الخير وتجنب الشر والإفساد في الأرض، حتى أنه نهاه عن قتل نفسه مهما كان السبب. وحرّم قتل الآخرين، وعد قتل نفس واحدة بغير حق قتل الإنسانية جمعاء²، حيث قال الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: 32).

3. حرية العقيدة والدين:

والمراد بها أن يكون لكل فرد في الأمة الحق في أن يعتقد ما يراه حقا، وأن تكون له الحرية في تأدية شعائره دينه كما يشاء، وقد احترّم الإسلام هذا المبدأ والأساس احتراماً كاملاً، فحذر أن يكون الإكراه طريقاً للدين، ومنع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يكرهوا أحداً عليه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 256)، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

¹ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3489، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1 (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ \ ٢٠٠١ م)، ج38، ص474.

² عبد الحميد، أسس التعايش والتسامح في الإسلام، ص17-18.

وقد جاء في سبب نزول الآية الأولى أن بعض الأنصار أرادوا أن يكرهوا بعض أبنائهم على الإسلام وهم على دين اليهود فنزلت هذه الآية فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك. وحث الإسلام على احترام الآخرين، وحرّم على المسلم أن ينال من أحد في شخصيته أو دينه حتى لا يؤدي ذلك إلى رد فعل مضاد،¹ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 108).

4. تحقيق العدل وإقامة الحدود على الشريف والضعيف:

من المبادئ والأسس التي جاء بها الإسلام تحقيق العدل مع الأصدقاء والأعداء، والضعفاء والأقوياء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58)، وجاء في الحديث الذي رواه عائشة زوج النبي ﷺ، أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح،² فقالوا: "من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فأتي بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟، فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله ﷺ، فاختلف، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت، فقطعت يدها".³

¹ المرجع نفسه، ص 18.

² المرجع نفسه، ص 19.

³ أخرجه مسلم في صحيحه، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث: 1688، النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره

ثالثاً: أهمية التسامح والتعايش:

تبرز أهمية التسامح في أشياء كثيرة توفر للفرد والمجتمع حياة سعيدة أذكر منها:

فتح باب الحوار ونبد العنف والتطرف بين أفراد المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات وقبول الآخر.

1. محاربة التعصب السلبي للأفكار والترفع عن سفاسف الأمور.
2. الحصول على الاستقرار النفسي للأفراد والتطور الحضاري للمجتمع المسلم.
3. التعاون على البر والتقوى ودفع المضرة قبل جلب المصلحة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية.
4. العمل على المحافظة على قوة المجتمع ووحدته عن طريق المصالحة ونبد الافتراق.
5. حب الخير للجميع وتبادل الاحترام بين أفراد من مختلف الثقافات والملل والمذاهب.
6. التفكير الإيجابي في رعاية حقوق الآخرين ورفع الحرج عنهم.¹

المطلب الثاني: أبرز الجهود الإباضية في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك

من عوامل انتشار المذهب الإباضي التسامح المذهبي، لذلك يمكننا القول من الأسباب الرئيسية لانتشار المذهب الإباضي في مختلف المناطق عائد إلى ما يملكه المذهب من رصيد يواكب آمال الناس، واعتدال وتسامح الدعاة، والتزامهم بقواعد الإسلام، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة. وما كان ينادي به من تطبيق لهذه المبادئ في ضوء أخوة الإسلام، التي تجمع الجميع، وهذه المبادئ الاجتماعية هي من صميم المنهج الإباضي.²

حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، ط1 (دار الطباعة العامة، تركيا، ١٣٣٤ هـ)، ج5، ص114.

¹ زعابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، (مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد السادس عشر، العدد الأول، مارس 2020)، ص173-174.

² انظر: الشلي، علي بن سالم بن علي، الوجود الاباضي في مصر، ط١ (مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ص٣٣.

لقد مارس أتباع المذهب الإباضي التسامح والتعايش في مختلف مجالات الحياة، وجسدوه واقعا عمليا استفاد منه العام والخاص، ومن هذه الجهود:

أولا: جهود المذهب الإباضي عند المغاربة في تعزيز قيمة العيش المشترك:

العيش المشترك في الدولة الرستمية:

عاش الإباضية والسنة والشيعة والمعتزلة والخوارج تحت سقف الدولة الرستمية التي أسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي عام (160هـ) في تيهرت بالجزائر، وقد أثنى عليها المؤرخ ابن الصغير المالكي المذهب في كتابه أخبار الأئمة الرستميين، الذي عاصر الدولة، وعاش بين أكناف أئمتها الإباضية في معظمهم، شهد لهم، وسجل مآثرهم، حيث أكد أن السنة والشيعة والمعتزلة والصفورية قد عاشوا أحرارا في عقائدهم ومذاهبهم. وأنه إذا ما رغب أحد من أتباع تلك المذاهب مناظرة الإباضية قربه. وناظره بألطف عبارة، ولم يكن منهم إكراه لأحد على اعتناق مذهبهم، ولا إكراه لأحد على مغادرة أرضهم.¹

تنزه الرستميون عن الأحقاد وتناسوا أذى الماضي، فرغم أن الأمويين قد ارتكبوا مجازر ضد الإباضية إلا أنهم لم يضيّقوا الخناق على الدولة الأموية الناشئة في الأندلس، بل عملوا على تثبيتها، مخافة زوالها على أيدي النصارى، وفتحوا لها ممرات تجارية إلى المشرق الإسلامي، فلولا هم لما وجدت مخرجا للتنفس.²

تري الباحثة: من هذه المواقف التي جسدها الإباضية القدامى في طريقة عيشهم مع مختلف المذاهب الإسلامية ينبغي علينا أن نجسده في حياتنا وتعاملاتنا مع الآخرين من مختلف الأديان والمذاهب..

¹ الباروني، سعيد، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط2 (مكتبة الضامري، مسقط، 2014م)، ج2، ص350.

² الأغبري، الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص127.

كذلك رغم سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة إلا أن التواصل بين الإباضية والسنة لم ينقطع، فقد كان العلامة علي بن يخلف مرجعاً لجميع المسلمين يقضي بينهم، وينزلون عند حكمه، لا يمارس إكراها مذهبياً.¹

إن التواصل بين أتباع المذاهب مما يعمق الوحدة بين المسلمين، فقد أورد الدرجيني أن أحد المخالفين في المذهب التقى بفتواه إباضي، وكان يحمل عن الإباضية معارف مغلوطة لكن المحاورة فيما بينهما كشفت للمخالف حقائق كان يجهلها، فما كان منه إلا أن طلب من علي بن يخلف عدم مفارقتها.²

● العيش المشترك في المغرب الإسلامي:

انتشر المذهب الإباضي في شمال أفريقيا على يد حملة العلم إلى المغرب، والذين أخذوا المعارف من مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي في البصرة، وعمل من قبلهم الداعية سلمة بن سعد إلى تثبيت قبائل الأمازيغ على الإسلام، إذ كان عمال بني أمية، يفرضون عليهم الجزية ويحملون أبناءهم أسرى، ويخمسون أموالهم، فلم يجد البربر تحسناً يذكر في المعاملة بعد اعتناقهم الإسلام، بل زادت أوضاعهم سوءاً، فشرح لهم سلمة بن سعد الأمر، وبين لهم أن بني أمية ليسوا حجة على الإسلام.³

في سبيل ترسيخ الهوية الإسلامية في بلاد المغرب، وغرس مفهوم المساواة في المواطنة، وإزالة ما علق بأذهانهم، بسبب سوء معاملة الأمويين لهم، انتخب الداعية سلمة بن سعد نخبة منهم، وابتعثهم إلى مدرسة أبي عبيدة بالبصرة، فلما ارتووا من علم أبو عبيدة عادوا إلى بلادهم، وقد علموا براءة الإسلام مما ألحقه به الأمويون، في سبيل التقريب بين المسلمين في بلاد المغرب سلامي اتخذ الإباضية خطوات نذكر منها:

¹ الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ، د.ط (د.ن، د.م، د.ت)، ج2، ص513.

² المرجع نفسه، ج2، ص516.

³ الأغبري، الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص122.

أولاً: "العدالة الاجتماعية في عهد أبي الخطاب المعافري:

أمر المسلمين في بلاد المغرب عام (1٤٠هـ)، وتميز عهده بالعدل بين الناس، ورفع مظالم بني أمية عن كاهل الشعوب، وحرص على ربط الوحدة بالتوحيد، أنس منه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي رشداً، لذلك أشار إلى رفاقه من حملة العلم بقتله، حتى لا يكون سبباً في خلاف المسلمين، وضياع الدولة".¹

وكان سبب توليه الإمامة أن قبيلة ورفجومة الصفرية في القيروان قامت بأعمال قتل ونهب وسلب حتى أن امرأة من أهل القيروان قامت بحفر حفرة وضعت ابنتها فيها لتبعدها عن الأنظار، فخلصها أبو الخطاب، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى خرج الناس من بيوتهم، فأدهشهم ما رأوا إنهم رأوا القتلى بشياهم وعتادهم لم يسلب منهم شيء، حتى قالت امرأة وقد أدهشها ما رأت كأنهم رقود، فسمي ذلك المكان رقادة.²

استغاثت بأبي الخطاب امرأة بالقيروان تطلب منه حمايتها وحماية الأعراس، فاستجاب أبو الخطاب، ودخل المدينة، فأمر أصحابه "ألا يفسدوا زرعاً من زرعهم"، وأمر شيخ ابنه بتفقد المزرعة بعد أن وضعت الحرب أوزارها لمعرفة ما بقي منها، "فخرج الغلام إلى المزرعة، فوجدها كما كانت لم يفسدوا فيها شئ، فرجع الغلام إلى أبيه فأخبره، فتعجب الناس من عدل أبي الخطاب".³

أيضاً أمر أصحابه "ألا يتبعوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، فقال رجل: نأكل من أموالهم كفعلهم بغنائمنا، فقال أبو الخطاب إن فعلنا كما فعلوا فحقيق على الله أن يرفضنا، ويدخلنا معهم جهنم، فنكون كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا

¹ الشماخي، السير، ج 1، ص 114.

² المرجع نفسه، ج 1، ص 117.

³ أبي بكر، يحيى بن أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، ط ٢ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٦٤.

جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَقْتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ (الأعراف:38).¹

ترى الباحثة: من خلال هذه المواقف ينبغي علينا تطبيق مبدأ قول الرسول ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"² وهذا يجعل المجتمع والمسلمين في زيادة اللحمة فيما بينهم، ويقوي اتصال العلاقات بين المسلمين، فلا يجوز بأي حال من الأحوال قتل الناس بسبب الاختلاف في المذهب أو الفكر أو سفك دمائهم باعتبارهم (مبتدعة)، فالإباضي والسني والمعتزلي، محفوظ دمه وماله وعرضه ليس بمئة من أحد أو بتفضل أحد على أحد، بل بتشريع رباني، ينبغي التزامه وتطبيقه.

ثانيا: جهود المذهب الإباضي المغاربة في تعزيز قيمة التسامح:

1) جهودهم في المجال الديني والأخلاقي:

لم يكن في المذهب الإباضي تشدد في الأصول والفروع ولا تطرف، بل كان هناك اعتدال وتسامح، والدليل على ذلك هو تقبل كثير من الشعوب الدعوة إلى الإسلام على يد علماء المذهب الإباضي وتجاره من غير تقاطع ولا صدام، فقد وصل الإسلام إلى مالي وغانا على يد الشيخ علي بن يخلف الوارجلاني سنة 575هـ في صحراء إفريقيا،³ وكان سبب ذلك أخلاقه العالية في المعاملة مع غيره ووصل الإسلام إلى الهند على يد التجار العمانيين الذين تصاهروا وانصهروا في المجتمع الهندي بخلق التسامح والتعاون.⁴

¹ الأغبري، الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص125.

² أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، رقم الحديث 4650 ، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج4، ص1987.

³ الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحرير: إبراهيم طلاي، ط2(د.ن، الجزائر، 2008)، ص340.

⁴ صالح، ناصر محمد، منهج الدعوة عند الإباضية، د.ط(جمعية التراث، الجزائر، 2000م)، ص517.

أما البحار التاجر أبو عبيدة عبد الله بن القاسم فقد أوصل الإسلام إلى الصين حوالي سنة 133هـ وسلك في ذلك منهج التسامح والرفق والرحمة حتى لقبه الإمبراطور الصيني "سون سين زون" بـ "جنرال الأخلاق الطيبة" لأنه كان رئيس الجالية العربية في الصين.¹

ويقول رجب محمد عبد الحليم " ولذلك كان من مبادئ الإباضية بعد جابر الصلاة خلف أهل القبلة كلهم، وخلف الجبابة في الأمصار التي تحب فيها صلاة الجمعة اقتداءً بجابر، ولذلك كانوا يجيزون الإقامة في أي بلد غلب عليه الجبابة، ويجيزون الغزو معهم أيضاً، كما كانوا يأخذون بأحكامهم ولا يرون في ذلك بأساً طالما أن أحكامهم كانت موافقة للحق والعدل ".²

(2) جهودهم في المجال السياسي:

لقد ضربت الدولة الرستمية أروع الأمثلة في المجال السياسي بفضل منهج التسامح الذي انتهجه أئمة الدولة الرستمية، فقد جمعت العاصمة تيهرت مختلف أتباع المذاهب الإسلامية الذين لجئوا إليها ووجدوا الأمن والأمان، مثل المالكية والشيعة والنفار والمعتزلة، قال ابن الصغير: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ... حتى لا ترى داراً إلا قيل: هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين، واستعملت السبل إلى بلدان السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة".³

وعندما تحدث عن حكم الإمام أفلح قال: " وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة ... ".⁴

¹ زعابه، التعايش والتسامح في المدرسة الإباضية، ص 174.

² عبد الحليم، رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ط1 (مطابع النهضة، عمان، 1999م)، ص 81.

³ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحرير: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د.ط (دار المغرب الإسلامي، بيروت، د.ت)، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 61.

وعندما تحدث عن أبي اليقظان محمد بن أفلح الإمام الخامس للدولة الرستمية قال: "وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى وإن كان من الإباضية يبعثون إليه بركاتهم يصرفها حيث شاء".¹ وبفضل نهج التسامح الذي امتازت به الدولة الرستمية فإن الأئمة اتخذوا لهم مجلسا للشورى يرجعون إليه في المهمات والملفات لكيلا يستبدوا برأيهم.

من أساليب التسامح السياسي في دولة تيهرت نجد الإمام عبد الرحمان بن رستم الفارسي يزوج بنته أروى لمدرار بن اليسع وهو نجل الإمام الرابع لدولة بني مدرار بسجلماسة بالمغرب حتى يكرس سياسة حسن الجوار ويؤمن حدوده.²

عندما عهدت الدولة الأموية الخلافة إلى الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة 99 أرسل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الإباضية في البصرة - رحمه الله - وفدا إليه يتكون من: أبي الحر علي بن الحصين العنبري، وسالم بن ذكوان الهلالي وأبي مودود حاجب الطائي وجعفر بن السماك العبدي... والحتات بن كاتب فتفاوضوا على ثلاث نقاط هي:

- أن لا يحاربوه مادام عادلا.

- أن يحي كل يوم سنة ويميت كل يوم بدعة.

- أن يبطل عادة لعن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنابر.³

هناك شهادة ل رجب محمد عبد الحليم قائلا: "وهكذا تصدى الإباضية لكل غال ومتطرف حتى ولو كان يمت لهم بصلة القربي والعرف والنسب والأصل، وهكذا اجتمعوا على مقاومة الخوارج بشتى ألوانهم وأصنافهم في بلدان المشرق والمغرب، وطبقوا الشرع في معاملاتهم مع إخوانهم من المسلمين وقت الحرب ووقت السلم وتصدوا للأفكار المغالية وقاوموها أشد المقاومة، وتسامحوا مع أهل الفرق الأخرى، فوجد أصحابها في بلدانهم وممالكهم، وعاش الجميع إخوة متحابين،

¹ المرجع نفسه، ص 97.

² الباروني، سعيد، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط2 (مكتبة الضامري، مسقط، 2014م)، ص 169.

³ الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحرير: إبراهيم طلاي، ط2 (د.ن، الجزائر، 2008)، ص 39.

وكانت هذه المواقف وهذه السياسة التي اتبعتها الإباضية في مختلف عصورهم، وكان هذا الاعتدال وتلك السماح التي تحدثنا عنها بتفصيل من الأسباب القوية التي أدت إلى انتشار مذهبهم في كل مكان وصله دعاة هذا المذهب سواء في مصر أم في بلاد المغرب أم غيرها من البلدان".¹

(3) جهودهم في مجال الاجتماعي:

بفضل التسامح الذي انتهجه أئمة الدولة الرستمية استطاعت تيهرت أن تجمع في أطرافها بين العجم والعرب والبربر والأندلسيين من غير تمييز ولا تحيز، بل الكل يجاور الآخر ولا يختفي عنه، والكل لهم نفس الحقوق والواجبات، والدليل على ذلك وصول بعض الأندلسيين إلى سادة الحكم رغم أنهم ليسوا من الأسرة الحاكمة مثل مسعود الأندلسي الذي عينه الغمام عبد الرحمان في لجنة الترشيح للخلافة مع آخرين.² كما جمعت تيهرت في حكمها بين قبائل شتى وعشائر مختلفة نذكر منها: هواره، لواتة، نفوسة، مزاتة، وزناتة، ومطماطة، وقد شملت مظلة تيهرت حتى أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين كان الإمام يقبض منهم الجزية.³

أما عن دور المسجد في تربية المجتمع في وادي مزاب، فيقول الشيخ إبراهيم القرادي: "المساجد في وادي مزاب مصدر خير وهداية ونور الحياة الاجتماعية تقوم على أسس إسلامية سليمة، تعطي في مجموعها صورة حية لملامح مجتمع مسلم في عصرنا الحديث".⁴ في التسامح العرقي الذي انتهجته عشائر وادي مزاب بالجزائر يقول الشيخ إبراهيم القرادي: "بل رأينا كثيرا من العشائر تقبل في صفوفها عائلات من غير الإباضية، ولا تلزمهم باعتناق المذهب في حال من الأحوال، وإن كانت ترحب بهم إذا جاءوا بطواعية".⁵

¹ عبد الحليم، رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ط1 (مطابع النهضة، عمان، 1999م)، ص81.

² الوارجلاني، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تحرير: إسماعيل العربي، ط1 (المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م)، ص54.

³ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص61.

⁴ صالح، ناصر محمد، الشيخ أيوب إبراهيم القرادي، ط1 (المطبعة العربية، غرداية، 1990)، ص48.

⁵ المرجع نفسه، ص57.

(4) جهودهم في المجال الاقتصادي:

إن السمة التي برز بها الإباضية في المجال الاقتصادي هي الجد والتفاني في رعاية الكسب الحلال والتضحية بالنفس والنفيس من أجل عمارة الوطن، والتسامح والتعايش مع الزبائن في أي منطقة من مناطق الجزائر مع مراعاة النصح والإخلاص والصدق في المعاملة. يقول الشيخ محمد علي دبور عن التجارة المزايية أثناء الاستعمار: "إن المشايخ في وادي مزاب يدعون المزاييين ويرشدونهم في دروسهم التي يلقونها في المناسبات المختلفة إلى الاهتمام بالتجارة والنهوض بها ومزاحمة اليهود في تجارة الجملة التي استأثروا بها في الجزائر ... وكانوا يدعون إلى اقتباس الأساليب العصرية الحديثة الراقية في التجارة ويركزون على حسن المعاملة التي هي الأساس في نجاح التاجر أو عدم نجاحه، وعلى الأمانة والنشاط، والتضحية في سبيل العمل الجاد وإتقانه".¹

(5) جهودهم في المجال الفكري:

عند دراستنا لكتب الفقه الإباضي، نجد فيها من نهج التسامح الكثير وعلى رأسها الفقه المقارن والاستفادة من جميع المدارس الفقهية الأخرى، فلا حرج أن يذكر الإمام الشافعي إلى جانب الإمام جابر بن زيد، أو الإمام مالك إلى جانب الإمام الربيع بن حبيب بكل موضوعية. نجد ذلك في كتاب "قواعد الإسلام" للشيخ إسماعيل موسى الجيطالي رحمه الله، وكتاب الذهب الخالص" للشيخ أحمد بن يوسف أطفيش إبراهيم، وفي كتابه الموسوعي القيم: "شرح النيل وشفاء العليل".²

لا حرج أن يعتمد الشيخ أبو ستة محمد بن عمرو في حاشيته المطولة على ترتيب مسند الإمام الربيع بن حبيب على الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري وغيره. نجد كتباً أخرى للفقه الشافعي يضع لها عالم إباضي حاشية فقهية مثل كتاب زيادات أبي سعيد

¹ دبور، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وتورثها المباركة، ط1 (المطبعة التعاونية، القاهرة، 1965م)، ج1، ص56.

² زعابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الإباضية، ص179.

الكدمي على كتاب الإشراف على مذاهب العلماء تأليف الأمام ابي بكر محمد إبراهيم بن المنذر النيسابوري.¹

لا حرج أن يرجح فقيه إباضي ما رجحه علماء غير الإباضية، ولا يرجح ما رجحه علماء الإباضية مثله، ومن ذلك قول قطب أطفيش: " ولي ترجيح لأهل أندلس على غيرهم من قومنا لمزيد تحقيقهم مع ما هم فيه من قنال النصارى ".²

إن المناظرات الفكرية في علم الكلام التي كانت تنظم في مجالس الدولة الرستمية بين الإباضية والمعتزلة كانت تعتمد أسلوب مقارعة الحجة بالحجة، بعيدا عن العنف والتطرف والغلو، ومن ذلك مهدي النفوسي الذي أقنع سبعين عالما بحقيقة المذهب فاعترفوا به.³

لا يجد الإباضية حرجا في أن يدرس الإباضي في معاهد وجامعات المالكية وغيرهم، مثل جامع الزيتونة، والجامع الأزهر بالقاهرة، أو جامع قرطبة بالأندلس، أو جامع القرويين بالمغرب أو في إحدى الزوايا العلمية، فهذا الإمام أبو يعقوب يوسف الوارجلاني الذي تخرج من جامع قرطبة بالأندلس، والمؤرخ الكبير الشيخ محمد على دبوز قد تخرج من جامع الأزهر بالقاهرة، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الذي درس عند الشيخ عبد القادر المجاوي في الجزائر العاصمة.⁴

إن علماء الإباضية قد انتهجوا نهج التسامح وربوا عليه أبناءهم، فلا يجدون أي حرج أن يدرسوا أبناء المالكية في معاهد الإباضية ومدارسها الحرة، في الجزائر، أو تونس أو ليبيا أو مالي أو بوركينا فاسو، وغيرها منذ القديم إلى وقتنا هذا.⁵

¹ المرجع نفسه، ص 180.

² أطفيش، إبراهيم أحمد بن يوسف، تحرير: الشيخ عبد الرحمن البكري، شرح النيل وشفاء العليل، ط1 (دار الفتح، جدة، 1976م)، ص 302.

³ الوارجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، ص 69.

⁴ عمرو، بن جميع، تحرير: عمر بزين، عقيدة العزاية، ط2 (المطبعة العربية، غرداية، 2000م)، ص 1-2.

⁵ انظر: خدوسي، رابح، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ط1 (دار الحضارة، الجزائر، 2003م)، ص 49.

ثالثاً: جهود المذهب الإباضي المشاركة في تعزيز قيمة التعايش:

1. العيش المشترك في عمان:

لم تشهد عمان في مختلف العصور، وفي فترات تقلبها بين أئمتها و سلاطينها منذ القرن الأول الهجري الذي أعلن فيه العمانيون بقيادة الإمام الشهيد الجلندي بن مسعود عام ١٣٢ هـ استقلالهم وحتى وقتنا هذا عصر نهضة سلطان عمان السلطان هيثم بن طارق ، ما شهدته كثير من أقطار العالم الإسلامي من شحن مذهبي، ثم تطور إلى اقتتال بين أبناء المذاهب الإسلامية قديماً كما سطره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ عند حديثه عن أحداث بغداد أو حديثاً كما هو واقع في عدد من البلاد في الشام وأرض الرافدين وشبه القارة الهندية والصومال.¹

أيضاً، إن التاريخ يؤكد لنا أنه لم يؤثر أي اشتباك مسلح في عمان مبني على أسس مذهبية أو فكرية في عهد الأئمة والسلاطين معاً إلا ما كان من جهاد الخوارج الوهابية القادمين من نجد، أو جهاد للمستعمرين، وإنما كانت طواحين الحرب التي تدور مبنية على اعتبارات قبلية.²

وعمل ولاية الشأن في عُمان على وأد كل ما من شأنه أن يشق الصف، ويفرق الجمع، ونشروا مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، وكان حق المواطنة من الحقوق التي التزموها قناعة لا مجاملة، وإيماناً بها لا مخافة ضغوط، إذ لم تكن في الأعصر الماضية جمعيات حقوق الإنسان ولا هيئات أمم، ولا أجهزة أقمار صناعية ترصد وتراقب، بل كانت عمان مستقلة منذ العهد العباسي ثم العثماني، وكان أئمتها وسلاطينها أحراراً فيما يتخذون من قرارات خاصة أن عمان بلغت شأناً عظيماً من التقدم العلمي والعسكري والرقى الحضاري في جانبية الروحي والمادي أيام الأئمة المهنا بن جيفر والوارث بن كعب الخروصي وغسان بن عبد الله اليمحمدي والصلت بن مالك ثم أئمة اليعاربة خاصة الإمام سلطان بن سيف وسيف بن سلطان والإمام المؤسس للدولة البوسعيدية أحمد بن سعيد.³

¹ الأغبري، الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص145.

² المرجع نفسه، ص145.

³ المرجع نفسه، ص146.

إن كثيراً من الناس ممن لم يطلعوا مباشرة على كتب الإباضية، أو ممن ظلوا يتلقون معارفهم عن الإباضية من خلال ما يقال لهم أو من خلال ما يسمعونهم من مخالفاتهم يظنون أن الإباضية هم من الذين تصعب معاشتهم بسبب تشددهم على مخالفيهم، أو شدة أحكامهم الفقهية في كل صغير من الأمور أو كبيرها، ولكنهم ما أن تطأ أقدامهم أرض عمان حتى يروا غير ما سمعوا، وقد أكد هذه الحقيقة أحد الباحثين من المالكية من جمهورية السنغال، وهو عمر بن الحاج محمد صالح في كتابه دراسات عن الفكر الإباضي، فقد ذكر أنه كان يحسبهم فرقة من الخوارج، وألقى باللوم في ذلك على كتاب الفرق والمقالات، وأكد أنه ما أن يصل أرض عمان كان قد توجس منهم خيفة، فأخذ يعد العدة نفسياً، ثم تفاجأ بما رآه من الإباضية في عمان من حسن معاملة وطيب الأخلاق، لذلك أخذ على أن يكتب عن الإباضية من خلال مصادرهم.¹

ترى الباحثة أن هذا يدل على أن العمانيين جسد واحد، لذلك لا بد عليهم أن يقفوا سدا محصنا ضد كل صوت قادم إلى فرقته. يمكن أن نثبت عملياً من خلال مسلك الأئمة والسلطين جهة وإلى أخلاقيات العمانيين من جهة أخرى، وهذا إذ أن هذا التسامح يعود إلى اعتدال الأئمة والسلطين على سواء.

رابعا: جهود المذهب الإباضي المشاركة في تعزيز قيمة التسامح:

مظاهر التسامح في سلطنة عمان:

في عام ٦٢٩م وصلت رسالة من الرسول محمد ﷺ إلى ملكي عمان عبد وجيفر ابني الجلندي وهما في صحار تدعوهم إلى الدين الجديد؛ فكانت بينهم وفود متبادلة لدراسة هذا الدين وكسب معلومات إضافية حوله، وبعد اقتناع وطوعية قبلا الدخول في الإسلام، وهكذا دخل الإسلام إلى عمان من دون قتال، وأثنى رسول الله ﷺ على أهل عمان ومدحهم، فعندما بعث رجلا إلى حي من أحياء العرب سبوه وضربوه، فلما رجع إليه وأخبره قال رسول الله ﷺ: "لو أن أهل عمان

¹ عمر با، عمر بن الحجاج محمد صالح، دراسة في الفكر الإباضي، ط٢ (مكتبة الإستقامة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)،

أتيت ما سبوك ولا ضربوك"¹. ووجد ملكا عمان القبائل العربية، وبعد وفاة الرسول ﷺ ظل تنصيب الولاة المسلمين فيها من اختصاصات الخليفين أبي بكر الصديق وبعده عمر بن الخطاب؛ مع ترك السلطة في يد آل الجلندی ملوك عمان، حتى ألحقها الخليفة الثالث عثمان بن عفان بالبصرة، والعديد من التقارير والرسائل والدراسات التي قام بها الباحثون والمختصون سواء زوار سلطنة عُمان أو العاملين فيها يشهدون بالتعايش السلمي فيها عبر العصور؛ فقد وصف الباحث حسين غباش الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وهو أَّحْدُ أئمَّة عُمان بقوله: "كان التسامح والعفو عن الخصوم يسيران جنبا إلى جنب مع حزم الإمام، وهو ما دعم موقعه الروحي والسياسي في أذهان العمانيين"².

وتحدث "هاريسون" طبيب ورحالة أمريكي، الذي عمل ضمن الإرسالية الأمريكية في عمان "١٩٠٩ م - ١٩٥٤م" عن أخلاق العُمانيين بقوله: "إنَّ العماني كريم مضياف لدرجة الإفراط، وما ينطبق على بيت أفقر الناس ينطبق على قصر السلطان ويذكر أن مجالس "السبلة" الرجال في بيوت العمانيين مفتوحة لكل شخص، وليس هناك تفرقة بين الناس بسبب المنزلة الاجتماعية؛ ففي المجلس يوجد الخدم والسادة والفقراء والأغنياء والبدو وغيرهم، يجتمعون في مكان واحد يتجاذبون أطراف الحديث ويتسامرون، ويصف هاريسون هذا المشهد أن فيه الديمقراطية، ووصفهم أيضا أنهم متدينون جدا، وليسوا متشددين، وهم متسامحون وقلوبهم مفتوحة، ومعتزون جدا بدينهم، ولهم جلد وصبر على تحمل الشدائد في سبيل تطبيق التعاليم الدينية"³.

وفي سنة ١٨٣٣ م قام التاجر والدبلوماسي الأمريكي "ادموند روبرتس" بزيارة للسيد سعيد بن سلطان وكتب تقريرا عن تلك الحقبة: "جميع الأديان، تحت حكم السلطان، ليس مجرد

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، باب: فضل أهل عمان، رقم الحديث: 2544، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ص 2544.

² غباش، حسين عبید، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمام والتاريخ السياسي الحديث، د.ط(دار الجديد، بيروت، 1997م)، ص 107.

³ مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، د.ط(وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2013م)، ج 10، ص 3725.

التسامح، ولكنها محمية من قبل جلالته، وليس هناك أي عائق مهما كان لمنع المسيحيين، أو اليهود أو غيرهم من التمسك بتعاليم دياناتهم وبناء دور العبادة لهم".¹

وفي سنة ١٨٢٤م زار النقيب "جورج توماس كييل" مسقط أثناء رجوعه من الهند إلى إنجلترا واصفا أهلها أنهم يملكون تقديرا عظيما للعدالة وتسامحا للأديان الأخرى".²

وكما زار مسقط "كارستين نيور" الرحالة الألماني، في يناير ١٧٦٥م وكتب: "يُعاني أتباع الديانات في الهند معاناة شديدة في ممارسة الشعائر الدينية وفي تعاليم دينهم، ولكنهم في مسقط يمارسونها بكل أريحية وتسامح وبدون أي مضايقات".³

وعن التسامح الديني في زنجبار؛ فقد عاش المسلمون والمسيحيون جنبا إلى جنب في زنجبار في ظل الحكم العماني، وفي سنة ١٨٦٨م منح السلطان "ماجد" قطعة أرض واسعة إلى أتباع الدين المسيحي في شمال "باجامويو" ليكون لهم مكان عبادة، وهذه الأماكن باقية حتى يومنا هذا، وفي إطار التعايش والتسامح الديني التي تميزت بها مدة حكم العمانيين لزنجبار قام السلطان "ماجد" بدعم الدكتور "يوحنا لودف جسكراف" الذي أرسل الى شرق أفريقيا لمساعدة أتباع الدين المسيحي بترجمة كتب التعاليم المسيحية إلى اللغة السواحيلية، ومع دخول آلات الطباعة إلى شرق أفريقيا في ظل حكم السلطان "برغش" ١٨٣٧ م - ١٨٨٨م تمكن المسيحيون من طباعة الكتب الخاصة بهم باللغة السواحيلية بمساعدة المترجم العماني "الشيخ عبد العزيز بن عبد الغني الأموي".⁴

وقد ألفت البارونة "وارثي" كلمة في جامع السلطان قابوس الأكبر بمسقط عن التسامح الديني، وأشارت إلى سلطنة عمان بعدها أنموذجا يحتذى في الدول الأخرى، ومن جملة ما قالت:

¹ نفس المرجع، ج4، ص1569.

² نفس المرجع، ج3، ص1000.

³ نفس المرجع، ج10، ص3715.

⁴ موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، رسالة الإسلام من عمان، التسامح، والتفاهم، والتعايش، مسقط،

التسامح . التفاهم . التعايش | رسالة السلام من عمان(omanis-for-tolerance.com) ، تمت الزيارة في:

(25 فبراير، 2024م).

"إن هذا المسجد يشكل خلفية مثالية لتناول موضوع التسامح الديني؛ فعمان، تحت القيادة الحكيمة لجلالة السلطان؛ قد أصبحت رمزا لذلك التعايش الذي نطمح إليه جميعا؛ وهي دليل على أن الطائفية ليست أمرا حتميا حتى عندما يتلى الدين بالانشقاقات. يجب علينا أن نسلط الضوء على الأمثلة الحية العظيمة التي تظهر أن العنف الطائفي ليس أمرا محتوما. وتعتبر سلطنة عمان أحد هذه الأمثلة؛ فهي واحة التسامح في صحراء الانقسام، والتي تثبت، وهي في وسط منطقة مضطربة؛ أنه يمكن لمختلف الطوائف أن تعيش جنبا إلى جنب"¹، وقالت أيضا: "وهذه شهادة للقيادة الحكيمة للسلطان قابوس - طيب الله ثراه- وشخصية الشعب العماني؛ التي نرى تجلياتها في هذا التواصل الحميم بين المسلمين الإباضية والشيعة في سور اللواتيا؛ وصلاة المسلمين أتباع المذاهب السنية جنبا إلى جنب مع المسلمين أتباع المذهب الإباضي في المساجد كهذا المسجد، وقد امتد هذا التواضع والانفتاح من دون معوقات إلى أتباع العقائد الأخرى؛ هذه هي المبادئ التي تزدهر بها سلطنة عُمان وأنا لا أستطيع أن أعبر عن ذلك بأفضل مما عبرت به وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان عندما ذكرت: "إنه لمن العار أن تسفك الدماء بسبب الاختلافات العقائدية، وتقام الصلوات في المساجد على امتداد البلاد حيث يقف السنة والشيعة إلى جانب الإباضية. لا تعرف صلاة الجماعة أية اختلافات عقائدية، وكل واحد مسؤول عن نفسه أمام الله"، وذكرت أنا لا أستطيع التفكير في رمزية لهذا الأمر أكثر من سماحة المفتي العام للسلطنة، وهو شخصية إباضية، يعقد قران زواج شيعي على سنية أو العكس، وإنه من أسعده حظه من بيننا بتجربة هذا التمازج الاجتماعي يجب أن يشيد بذلك مرارا وتكرارا من خلال مشاركة منافع ذلك التعايش وتقديمها واستعراضها، وتسليط الضوء على منافع التعددية، والتحذير من تأثير الكبت والقيود التي تنشأ عن الطائفية.²

¹ الذهلي، ربيع بن المر بن علي، التسامح الفكري في المؤسسات التعليمية، ط1 (مكتبة مسقط، 2024م)، ص 217

² موقع وزارة الخارجية البريطانية والكونغرس، كلمة البارونة وارثي في جامع السلطان قابوس الأكبر، ١٨ فبراير ٢٠١٤م، مسقط، كلمة البارونة وارثي في جامع السلطان قابوس الأكبر (www.gov.uk) GOV.UK - ، تمت الزيارة في: (25 فبراير، 2024م).

وفي افتتاح الندوة العلمية بشأن سلطنة عمان في القرن الـ ٢١ " بالعاصمة الأمريكية واشنطن، التي جاءت بعنوان "عمان في القرن الحادي والعشرين " وذلك في إطار الزيارة التي قام بها معالي الدكتور عبد المنعم بن منصور الحسني (وزير الإعلام آنذاك) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تم تقديم العديد من أوراق العمل التي تبحث في المحاور الاقتصادية والثقافية والدينية المختلفة التي تعكس تجربة سلطنة عمان في مجال التسامح والحريات الدينية وغيرها من المجالات، وفي ورقة حملت عنوان "التراث الديني في سلطنة عمان والمناظر الطبيعية " تحدث "فاليري. ج. هوفمان" من جامعة إلينوي الأمريكية بمدينة "إربانا شامبين" عن المذهب الإباضي في التاريخ العماني وأثر نسب البوسعيديين على الحياة والمجتمع بشكل عام وفي القيم الدينية، وناقش بشكل أوسع سياسة السلطان قابوس بن سعيد - طيب الله ثراه - ورؤيته للدين الإسلامي والتسامح الذي أضفاه في هذا الجانب والحريات في ممارسة العقائد والشعائر الدينية في سلطنة عمان لغير المسلمين، وقد لعب البناء العقائدي والفقه للمذهب الإباضي دورا كبيرا في نشر الفكر الإسلامي المتسامح في سلطنة عمان تأسيسا إلى مفهوم وحدة الأمة وفكرة قبول الآخر وتحجيم الخلاف المذهبي وتقريبه إلى حدوده الدنيا ، كانت لهذا المذهب فلسفته الخاصة في بث عرى التعايش لكونه ينظر إلى التباين المذهبي على أنه نتيجة طبيعية لاختلاف طرائق التفكير في فهم النصوص وترجمتها العملية، ويدفع المذهب الإباضي باتجاه الفقه التسامحي الذي يجسد عمليا الفجوات المفاهيمية والفكرية ضمن دائرة الإسلام السمع؛ تحظى سلطنة عمان بعلاقات طيبة ووثيقة مع الدول الشقيقة والصديقة المختلفة في المنطقة وعلى امتداد العالم وهو ما يعزز المصالح المشتركة والمتبادلة؛ فإنها بتوجيهات من السلطان قابوس بن سعيد - طيب الله ثراه - تسعى باستمرار إلى إلقاء الضوء على نهجها في التسامح والحوار الحضاري مع الشعوب والحضارات الأخرى من ناحية، والإسهام في التعريف بالقيم الإسلامية المعروفة باعتدالها ووسطيتها وحرصها على الاقتراب من

الآخر والحوار البناء معه بعيدا عن التعصب والتطرف الذي يتنافى مع روح الإسلام السمحة من ناحية ثانية.¹

ترى الباحثة من هذا: إن هذا التسامح يعود إلى اعتدال الأئمة والسلاطين على السواء من جهة، وإلى أخلاقيات العمانيين من جهة أخرى. ونرى الحكم والسياسة الحكيمة وأبناء الشعب في سلطنة عمان كان لهم دور فعال في تعزيز دور المذهب في تعزيز قيم التسامح والتعايش المشترك. كذلك توصلت الباحثة إلى أن التعايش والتسامح في السلطنة من أسبابه أن الفكر الإباضي الشائع والغالب بين الناس هو السبب في ذلك. لذلك نجد المذهب الإباضي في عمان يشكل حوالي 70% من السكان. أيضا نرى اليوم المذهب الإباضي متعايش وتسامح مع باقي المذاهب الآخر، نرى السني والشيعة وغيرهم يصلون مع إباضي أو العكس، كذلك يتزوج الإباضي من سني أو شيعية أو العكس.

أيضا يمكن إضافة في هذا المطلب الوسائل أو الحجج التي دافع فيها الإباضية عن أنفسهم تهممة الخوارج هي تعتبر وسيلة من وسائل التعايش مع الآخر دون بغض وكراهية ونزاعات تقوم على هذه الدعوى. ومن هذه الوسائل التي دافع الإباضية عن أنفسهم:

أولا: تصدي القائد الشهير المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج الأزارقة، وتنكيله بهم، وقد كان ذلك لصالح الدولة الأموية كون المهلب مواليا لهم، لكن ضرر الخوارج في نظر الإباضية أكبر وأخطر من الأمويين لأنهم يستحلون دماء المؤمنين ديناً، بينما يستحلها الأمويين سياسة، ومن الثابت تاريخياً أن أسرة آل المهلب كانوا إباضية، وكانوا على اتصال وثيق بالإمام جابر بن زيد الأزدي لله، ولم يبذل المهلب في قتال الخوارج والقضاء عليهم إلا لعلمه بعدم العلاقة بينهم والإباضية؛ لأن قبيلة الأزدي آنذاك كانت تتبنى رأي الإباضية، وعلى مدارها كانت الفتوى في الأقضية والنوازل، ومعلوم أن القبيلة التي كان يقاتل بها المهلب هي الأزدي.

¹ جريدة الوطن، الجمعة، 5 ديسمبر 2014، 12:30 ص، بحضور وزير الإعلام .. ندوة علمية بعنوان: «عمان في القرن الحادي والعشرين» بواشنطن-الوطن (alwatan.om) تمت المشاهدة في: (10 أبريل، 2024م).

ثانيا: كان الإمام عبد الله بن إباح شديدا إزاء الآراء والأفكار التي ينادي بها نافع بن الأزرق، وكان يعلن بطلانها بصراحة تامة، ويحذر منها الناس وله في هذا الصدد مراسلات شديدة مع ابن الأزرق، يحذره فيها من مغبة التطاول على دماء المسلمين وأمنهم والغريب أن المؤرخين من غير الإباضية يثبتون ذلك ويرون فيه اعتدالا من ابن إباح، ومع ذلك يصرون على تسمية الإباضية بالخوارج.

ثالثا: ومما يثبت هذه الحقيقة هو أن الرجل الثالث في الإباضية المحدث الحجة الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصحيح يبرأ من الخوارج، وكان يقول فيهم: "دعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى الفعل، فإن بقوا على قولهم فخطؤهم محمول عليهم، وإن تجاوزوه إلى الفعل حكمنا فيهم بحكم الله"¹، وقد كان ذلك بمثابة الفتوى التي سوغت قتال الإباضية للخوارج، وإبعادهم عن ساحة التأثير السلبي، وليس خفيا على رجال التاريخ كابن خلدون ومؤرخي المغرب أن الإباضية والصفورية التقوا في المغرب الإسلامي، لكن ذلك ما كان يجمعهم على مائدة واحدة، بل عمل الإباضية بقيادة الإمام أبي الخطاب المعافري على إنقاذ أهل القيروان من عبث الصفورية وانتهاكهم لحرمات البلد، وعبر التاريخ فإن المالكية لم يسجلوا مع الإباضية معركة واحدة باسم المذهبية، إنما وقعت أحداث كان الغرض منها سياسيا محضا، يهدف إلى توسعة نفوذ الولاء والطاعة لبني أمية والعباس.

رابعا: ومما يدل على ذلك أيضا في المشرق قتال الإمام الجلندی بن مسعود لعُماني (ت: ١٣٤ هـ) الشيبان الخارجي - وهو من الصفورية - عندما قدم في جيش إلى عمان هاربا من السفاح -

¹ وقد تقرر هذا الموقف من الخوارج عموما في أولى المؤلفات الإباضية ككتاب الدينونة الصافية العمروس بن فتح (ت ٢٨٣٠ هـ) إذ يقول عن الصفورية الذين التقوا بالإباضية زمانا ومكانا على أرض الغرب الإسلامي وقالت الصفورية بتشريك أهل الكبائر من أهل التوحيد، واستحلوا سي ذراريهم، وغنيمة أموالهم جرأة على الله، دينا لم يشعه الله ولم يسن بسيرته نبي الله؛ وتأولوا على ذلك تأويل شبهة خالفت الحق وخرجت من العدل، فدخل عليهم من الضلال ما لا نهاية له. ولو كان ثمة لقاء بين الخوارج والإباضية لكانوا أحوج ما يكونون إلى الصفورية في أرض المغرب؛ لأن الإباضية خاصة في زمن عمروس تعرضوا لحن شديدة ذهب ضحيتها عمروس نفسه، فتأمل كيف كان الإباضية يرفضونهم معتقدا فضلا عن السياسة، انظر: أصول الدينونة الصافية، ص 52، 54، 59.

الحاكم العباسي - ودارت معركة بين جيش الإمام الجلندي وبين شيبان وأصحابه، وأسفرت المعركة عن مقتل شيبان وجنوده، وقد كان بإمكان الإمام أن يضم إلى صفوفه هؤلاء الهاريين من ملاحقة العباسيين لو كانوا على رأي واحد، لكن الصفرية خارج غالوا في الدين واستحلوا الدماء، أما الإباضية فبخلاف ذلك تماماً.¹

¹ معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، د.ط (دار الحكمة، 2006م)، ص 461-462، النامي، دراسات عن الإباضية، ص 46

المطلب الثالث: آثار فكر التسامح والتعايش في المذهب الاباضي:

من خلال المطلب السابق تتجلى لنا بعض الآثار الإيجابية في الفرد والمجتمع، قسمتها إلى نوعين:

1. الآثار الاجتماعية.

2. والآثار المادية.

أولاً: الآثار الاجتماعية:

1. تربية الفرد المسلم على حب الخير لجميع الناس.
2. المسارعة إلى الصلح بين المسلمين عند خصامهم.
3. تنمية روح خدمة المصلحة العامة قبل خدمة المصلحة الشخصية.
4. رفض جميع أنواع العنف والظلم والأنانية والتفرق داخل المجتمع وخارجه.
5. الاستقرار الاجتماعي والتطور الإيجابي والانقياد المثمر للمؤسسات الخاصة والعامة.
6. التعاون مع الغير واحترامه لتحقيق حياة أفضل في جميع مجالات الترقية الاجتماعية لأفراد هذا الوطن.¹

ثانياً: الآثار المادية:

إن فكر التسامح لدى المذهب الإباضية أسهم بصفة دائمة وفعالة في التطور المادي لكثير من الأفراد، أذكر على سبيل المثال ما يأتي:

1. إضافة مؤسسات اقتصادية نشيطة في ربوع هذا الوطن العزيز وعدم الخضوع إلى البطالة والاستهلاك السليبي.
2. التنافس في رعاية أوقاف عملية لصالح التربية الدينية للأجيال وغرس فكر التسامح والتعايش والوسطية لدى الجيل الصاعد.

¹ زعابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، ص182.

3. التوسع العمراني الإيجابي في ضواحي المدن والأرياف، وتحقيق التطور الاجتماعي الأكمل والأصلح والأشمل في جميع جوانب الحياة.¹

¹ المرجع نفسه، ص 182-183

الختامة

توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة، وهي كما يأتي:

- 1) أن المذاهب هي الفروع الاجتهادية التي اتبع فيها كل فريق إمامه، وهي طريق الأمة في الشريعة والفقه والتفسير وما يؤول إلى ذلك، لا تفسيق ولا تضليل، ويسوغ الأخذ بأي منها والعمل للخاصة والعامة على التخيير بين المذاهب. فالمذاهب ليست محل عداوة وتحزب وخلاف بل محل تنوع وإثراء.
- 2) توصلت الباحثة إلى أن التعايش والتسامح في السلطنة من أسبابه أن الفكر الإباضي الشائع والغالب بين الناس هو السبب في ذلك. لذلك نجد المذهب الإباضي في عمان يشكل حوالي 70% من السكان.
- 3) السبب الرئيسي للتسامح المذهبي عند الإباضية هو انتشار المذهب في مختلف المناطق والبلدان، وكذلك عائد إلى ما يملكه المذهب من رصيد يواكب آمال الناس، واعتدال وتسامح الدعاة، والتزامهم بقواعد الإسلام، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة. جسد المذهب الإباضي قيم التسامح والتعايش في مختلف مجالات الحياة، وجسدوه واقعا عمليا استفاد منه العام والخاص.
- 4) من أهم وسائل التعايش عند المغاربة والمشاركة هي العدالة الاجتماعية في الحكم أئمة الدولة، وكذلك التواصل الحضاري مع المخالفين للمذهب، وعدم وجود اشتباك مسلح أو مشاحنات مذهبية مبنية على أسس مذهبية أو فكرية في عهد الأئمة والسلطين.

التوصيات:

توصي الباحثة بما يأتي:

1. كتابة بحث يشتمل على دور المؤسسات الحكومية العمانية في تعزيز قيم التسامح. أو دور المؤسسات الأهلية العمانية في تعزيز قيم التسامح.

2. تنظيم دورات تكوينية من قبل المختصين في مختلف الفئات الاجتماعية كالطلبة والطالبات والأسرة في الجمعيات الرياضية والمراكز الثقافية وبيوت الشباب والمعاهد والثانويات لإبراز أهمية فكر التسامح في المجتمع الإنساني.
3. تكليف الإعلام بفكر التسامح عن طريق إظهار تحقيقات تلفزيونية من شركات اقتصادية ومؤسسات فكرية ناجحة حتى تكون قدوة الرجال الأعمال والمثقفين.
4. إنشاء مؤسسة التسامح الخيرية شعارها المعرفة والتعارف والاعتراف لتكون سببا للاجتماع والحوار المثمر في مختلف مؤسسات الدولة.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات:

الآية	السورة	رقم الصفحة
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية: 256	البقرة	34
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الآية: 19	آل عمران	13
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الآية: 58	النساء	35
﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الآية: 3	المائدة	13
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ	المائدة	35

		لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ الآية: 8
34	المائدة	﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ الآية: 32
35	الأنعام	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ الآية: 108
39	الأعراف	﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ

		عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ الآية: 38
34	يونس	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ الآية: 99
29	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ الآية: 118
34	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ الآية: 70
13	فصلت	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ الآية: 33
33	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

		شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الآية: 13
--	--	---

فهرس الأحاديث:

رقم الصفحة	الراوي الأعلى	طرف الحديث
32	أبو هريرة	أحب الدين إلى الله الحنيفة...
34-33	عبدالله بن مسعود	أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي...
32	جابر بن عبد الله	رحم الله رجلا سمحا إذا باع...
17	زيد والد جابر بن زيد	سئل النبي ﷺ عن محرم أتي بلحم صيد يأكل منه...
40	أبو هريرة	كل المسلم على المسلم حرام...

18	ابن عباس	لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علما...
48-47	أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد	لو أن أهل عمان أتيت...
35	عائشة بنت أبي بكر	من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد...

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب العربية:

ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، تحرير: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د.ط(دار المغرب الإسلامي، بيروت، د.ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ط1(بيروت: دار الفكر، 1401هـ\1981م).
ابن سلام، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ط1(بيروت: إقرأ، 1405هـ\1985م).
أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ومحمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط3 (بيروت: دار صادر، 1414هـ).

أبي بكر، يحيى بن أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، ط2(دار الغرب الإسلامي، 1402هـ/1982م).

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د.ط(مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394 هـ \ 1974 م).

أطفيش، إبراهيم أحمد بن يوسف، تحرير: الشيخ عبد الرحمن البكري، شرح النيل وشفاء العليل، ط1(دار الفتح، جدة، 1976م).

الأغبري، اسماعيل بن صالح، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدين، ط1(د.ن، د.م، 1434هـ\2013م).

¹الدليمي، عباس فاضل، جدلية النص والتعيين في بناء مفهوم التسامح كمنظومة قيمية عند الإمام علي في نهج البلاغة، ط1(كلية التربية الإسلامية، جامعة ديالى العراق، 2004م).

أنيس، إبراهيم وآخرون نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4(مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ\2004م).

الباروني، سعيد، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط2(مكتبة الضامري، مسقط، 2014م).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط5(دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، 1993م).

بكوش، يحيى محمد، الوجود الإباضي بالأندلس، ط2(سلطنة عمان، السيب: مكتبة الضامري، 1411هـ\1990م).

- التميمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، الثقات، ط1 (دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣).
- جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ \ 1998م).
- الجري، محمد أبو راس، كتاب مؤنس الأحبة في أخبار جربة، ط1 (تونس: المطبعة الرسمية، 1960م).
- الخصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، د.ط (دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405 هـ).
- الجعيري، د. فرحات، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ط1 (سلطنة عمان: مطبعة الألوان الحديثة، 1408 هـ / ١٩٨٧ م).
- حسين، د. أحمد إلباس، دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي، ط1 (صحار: مطبعة بسملة، بدون: ت).
- حلي، د. أحمد محمد أحمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، ط1 (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1987م).
- دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وتورثها المباركة، ط1 (المطبعة التعاونية، القاهرة، 1965م).
- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ، د.ط (د.ن، د.م، د.ت).
- الذهلي، ربيع بن المر بن علي، التسامح الفكري في المؤسسات التعليمية، ط1 (مكتبة مسقط، 2024م)، ص45
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، ط5 (بيروت: الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- رجا، أبو علام، تنمية الوعي بمفهوم السلام والتسامح لدى الأطفال، د.ط (الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1995م).

زعابة، عمر بن الحجاج محمد صالح، دراسة في الفكر الإباضي، ط ٢ (مكتبة الإستقامة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

زعابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، (مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد السادس عشر، العدد الأول، مارس 2020).

الزيني، محمد عبد الرحيم، دراسات موضوعية في المدرسة الإباضية، ط 1 (مكتبة مسقط، 1445هـ\2024م).

السيابي، الشيخ أحمد بن سعود، المدخل إلى المذهب الإباضي، ط 1 (مكتبة الضامري للنشر والتوزيع - السيب، 1440هـ\2019م).

الشلي، علي بن سالم بن علي، الوجود الاباضي في مصر، ط ١ (مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).

الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، ط ٢ (د.ن، د.م، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م). الوارجلاني، يوسف بن إبراهيم، الدليل والبرهان، المحقق: الشيخ سالم بن حمد الحارثي، ط 2 (وزارة التراث والثقافة، مسقط - سلطنة عمان، 1427هـ/ 2006م).

الشيبياني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط 1 (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ \ ٢٠٠١م).

الشيبياني، سليمان بن سعيد، السلال الذهبية في نسب الدين عن الإباضية، ط ١ (سلطنة عمان: مكتبة خزائن الآثار، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

صالح، ناصر محمد، الشيخ أيوب إبراهيم القراي، ط 1 (المطبعة العربية، غرداية، 1990).

صالح، ناصر محمد، منهج الدعوة عند الإباضية، د. ط (جمعية التراث، الجزائر، 2000م).

صدقي، الشيخ محمد أيوب، وبحاز، الدكتور إبراهيم بكير، من لا يعرف الإباضية للمعرفة والتعارف والاعتراف، ط 1 (غرداية: دار نزهة الألباب، 1430هـ\2009م).

الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د. ط (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت).

عبد الحليم، د. رجب محمد، كتاب الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ط1 (سلطنة عمان، السيب: مكتبة الضامري).

عبد الحليم، رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، ط1 (مطابع النهضة، عمان، 1999م).

عبد الحميد، بسم الله، أسس التعايش والتسامح في الإسلام، د.ط (دار التأليف والترجمة، 2022م).

عروسي، سهيل، التسامح والتعصب، ط1 (المجلة الثقافية، دمشق، 2002م).
عقيل، عبد الرحمن جعفر، صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، ط1 (دار حضرموت للدراسات والنشر، 1426هـ\2006م).

علي، عمرو أحمد، تقديم: قشار، أ. أحمد بن الحاج، الفروق العقدية بين المدرسة الإباضية والمدرسة الإعتزالية، د.ط (مطبعة بصمة- بني يزقن غرداية الجزائر، 2022م).

غباش، حسين عبيد، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمام والتاريخ السياسي الحديث، د.ط (دار الجديد، بيروت، 1997م).

القضاة، محمد عدنان علي، مفهوم التسامح والعنف بالتربية الإسلامية، د.ط (أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموك الأردن، 2009م).

الكعبي، علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، ط1 (دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، 20014م).

الكندي، ماجد بن محمد بن سالم، صفحات مشرقة من تاريخ المذهب الإباضي، ط2 (د.م 1433هـ\2012م).

المبرد، لأبي العباس محمد بن يزيد، الكامل في الأدب، ط3 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1417هـ\1997م).

المجدوب، الأستاذ عبد العزيز، الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط1 (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1439\2008م).

مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، د.ط (وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2013م).

الموسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد الهنداوي، ط1 (دار الكتب العالمية، بيروت، 2000م).

مزهودي، د. مسعود، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (٢١ - ٤٤٢ هـ) (٦٤٢ - ١٠٥٣ م)، ط1 (مؤسسة تالوت الثقافية، 2003م).

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، ط1 (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠ - ١٤١٣ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٢ م)).

معجم أعلام الإباضية، (نشر جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).

معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، د. ط (دار الحكمة، 2006م).

مفلح، سالم فرج، تاريخ حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة بين الإباضية والمعتزلة، ط1 (المكلا: دار حضرموت للدراسات والنشر، 2006م).

النامي، د. عمرو خليفة، دراسات عن الإباضية، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م).

النجار، د. عامر، الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة، ط1 (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م).

النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، ط1 (دار الطباعة العامة، تركيا، ١٣٣٤ هـ).

الهادي، د. سيف بن سالم، الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي (علاقة فكرية وتاريخية)، ط1 (منشورات موقع بصيرة الإلكترونية - 1436هـ \ 2015م).

الهروي، محمد بن أحمد الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م).

الرسائل الجامعية:

الحسيني، دكتور سليمان بن سالم، التسامح والمودة وكرم الضيافة التي لقيها الرحالة الاوربيون والامريكان الذين زاروا عمان في القرنين التاسع عشر والعشرون، (ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر السادس للفكر الإباضي الذي عقد تحت عنوان الفكر الإصلاحى للمدارس الفكرية الإسلامية في العصر الحديث، 1-3 يونيو 2015م، بمعهد المخطوطات الشرقية بالأكاديمية العلمية الروسية بمدينة سانت بطرسبرج بجمهورية روسيا الاتحادية).

الريامي، عبد الله بن سليمان، الفكر الدعوي عند الإباضية، (رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، 1996م).

المجلات:

زغابه، عمر، التعايش والتسامح في المدرسة الاباضية، (مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد السادس عشر، العدد الأول، مارس 2020).

الشبكة العالمية:

موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، رسالة الإسلام من عمان، التسامح، والتفاهم، والتعايش، مسقط،

[omanis-for- عمان من رسالة السلام | التعايش . التفاهم . tolerance.com](http://omanis-for-tolerance.com)

موقع وزارة الخارجية البريطانية والكوننولث، كلمة البارونة وارثي في جامع السلطان قابوس الأكبر، ١٨ فبراير ٢٠١٤م، مسقط، www.gov.uk (www.gov.uk) .GOV.UK

جريدة الوطن، الجمعة، 5 ديسمبر 2014، 12:30 ص، بحضور وزير الإعلام .. ندوة علمية بعنوان: «عُمان في القرن الحادي والعشرين» بواشنطن-الوطن alwatan.om).